الإنسانية ومقاصدها في الشريعة الإسلامية

علي محمد أحمد هيرويي[١] - جمال محمد باجلان[٢]

[١+٢]قسم التربية الدينية، فاكلتي التربية، جامعة كوية، كوية، إقليم كوردستان، العراق.

الملخص:

إنّ الإنسانية في الإسلام هو مبدأ عقدي وواقع تطبيقي، حيث أنّ الشريعة الإسلامية تهدف إلى بناء الإنسان المسلم الرحيم، الذي يسعى للتخفيف عن الناس، فإنّ العبادة تتلخص في أمرين، هما: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله.

في هذا البحث الذي قدمناه تحت عنوان (الإنسانية ومقاصدها في الشريعة الإسلامية) حاولنا أن ندرس مفهوم الإنسانية دراسة مقاصدية متأصلة، حيث نعرّف في المبحث الأول مفهوم الإنسانية ومقاصد الشريعة، ثم نتطلع إلى مقاصد الإنسانية في الشريعة الإسلامية، وفي المبحث الثاني نركز على إبراز جوانب الإنسانية في الإسلام، آتياً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآراء العلماء عليه، وذكر المسائل التاريخية والعصرية المتعلقة به إن وجدت، بما يفتح الله به علينا.

وتمّ التوصّل من خلال هذا البحث إلى جملة من النتائج أهمّها: أنّ من أهم الصّفات التي امتازت بها الشريعة الإسلامية هي أنّها إنسانيّة النّزعة، وأن هذه الإنسانية عينها الله تعالى بنفسه، وأنّها واقعيّة يمكن ممارستها في حياة النّاس، وأن مقاصد الشريعة الإسلامية هي المؤسِّسة لكرامة الإنسان، وأن تراثنا الإسلامي زاخر بالنصوص من القرآن والسنة وأقوال الصحابة والفقهاء وبيانهم للأحكام الشرعية في مجال إنسانية الإنسان وحرياته، بما يستوجب علينا جمعه وإبرازه. وختم البحث بالتوصيات المقترحة، ومن أهمها: تركيز المجامع العلمية والمراكز البحثية على مثل هذه الدراسات والبحوث التي تبين العلاقة بين الإنسانية ومقاصد الشريعة ووسائلها؛ لبيان أسرار هذه الشريعة وسماحتها وشموليتها، وما تميزت به عن غيرها.

الكلمات المفتاحية: الإنسانية، المقاصد، الشريعة.

Article Info:

DOI: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

Received: 20-November-2021

Accepted: 11-January-2022

Published: 29-September-2022

Corresponding Author's E-mail:

ha4895377@gmail.com

Jamal.bajalan@koyauniversity.org

This work is licensed under CC-BY-NC-ND 4.0

Copyright©2022 Journal of University of Raparin.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الكون فنظّمه، وخلق الانسان وكرّمه، وسنّ الدين وعظّمه، الحمد للهِ الَّذِي خَلَقَ الإِنْسانَ فَسَوّاهُ فَعَدَلَه، في أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَه، وأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِنِعَمٍ سابِغاتٍ ولَوْ شاءَ مَنَعَه، وشَقَّ لَهُ سَمْعَهُ وبَصَرَهُ وجَعَلَ لَهُ لِسانًا فَأَنْطَقَه، وخَلَقَ لَهُ عَقْلاً وكَلَّفَه. وصَلّى اللهُ وسَلَّمَ عَلى سَيِّدِنا محمَّدٍ صَفْوَةِ خَلْقِهِ وعَلى آلِه الْمُطَهَّرِينَ وطَيِّبِ صَحْبِه.

أما بعد. لقد حظي موضوع الإنسانية باهتمامٍ بالغٍ في مختلف العصور والأديان والحضارات، وقد تباينت درجة الاهتمام به من عصرٍ إلى آخر ومن دين إلى آخر ومن حضارة إلى أخرى، وكذلك تباين مفهوم هذه الإنسانية ضيقاً واتساعاً وإطلاقاً وتقييداً وعموماً وخصوصاً بتطور الحياة وتعقيدها، فمفهوم الإنسانية اتَّسَع مع تطور الحياة وهو في اتّساعٍ مستمرٍ، كما أنّ هذا المفهوم لا تتسم بالثبات والجمود في صورها بل هي متغيرة تبعاً لتغير مجالات الحياة وتقدمها وتطورها، كما هو متغير بحسب نصوص الأديان الثابتة والمتغيرة.

فهذا البحث معنيٌّ بتعريف الإنسانية ومفهومها وجوانبها في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية، وذلك لأنّ مقاصد الشريعة هي المرجع الأبدي لاستقاء ما يتوقف عليه التشريع والقضاء في الفقه الإسلامي، وهي ليست مصدراً خارجياً عن الشرع الإسلامي، بل إنّها من صميمه، وهي روح الفقه وفهمه وللدين ولكل شيء، وأصبحت منهجاً للتفكير والسلوك والتصرف والموازنة بين الأشياء، منها مسألة الإنسانية، وهي كما قال الشاطبي رحمه الله: (فإن المقاصد أرواح الأعمال) (الشاطبي،الموافقات في أصول الشريعة،٢٠٠٤م، ص: ٤٢٥) وعلى منواله يقول الدكتور أحمد الريسوني: المقاصد أرواح النصوص الشرعية، والمقاصد أرواح الأحكام الشرعية، والمقاصد روح الشريعة، وبالجملة روح كل شيء مقاصده، وكل شيءٍ بلا مقاصد فهو جسد بلا روح. وحين تجرد مفهوم الإنسانية عن مراعاة المقاصد ومن بيانها وتوجيه المكلفين إليها فهماً وطلباً، حينذاك بدأ يتحول إلى مجرد ادعاءات تتسم بالظاهرية والجفاف والبرودة، وبدأ يصاب بالشلل العلمي والعملي والتطبيقي. (الريسوني، مدخل إلى مقاصد الشريعة، ٢٠١٨م، ص: ١٧)، وكذلك هو حال حقوق الإنسان بلا مقاصد.

وعلى منوالهما أقول: إذا كانت المقاصد كذلك فإنّ العجب كلّ العجب أن تذكر الإنسانية بلا ذكر مقاصدها، فذكرها بلا مقاصد يعني ذكرها بلا روح. إذن موازنة الإنسانية بالشريعة الإسلامية في ضوء مقاصد الشريعة شيء في غاية الأهمية والجمال، لأنه حينئذ يكمل ويتم هيكل الإنسانية المكون من النصوص والروح. وسوف نستعرض فيه أسباب اختياري لهذا الموضوع، وأهم الدراسات المتعلقة به. وأيضًا نذكر الأهداف من هذا البحث وأهميته، كما نذكر خطة البحث.

أولاً: أسباب اختيار الموضوع.

الأول: الحاجة لإظهار الإنسانية في الإسلام وموازنتها بمقاصد الشريعة.

الثاني: التأصيل لمفهوم الإنسانية في المصادر الإسلامية.

الثالث: الرغبة في إبراز محاسن الشريعة الإسلامية من خلال موازنة الإنسانية بمقاصدها.

الرابع: الخدمة -ولو كانت قليلة- بالإنسانية.

ثانياً: أهداف البحث:

الأول: محاولة إظهار حقيقة الإنسانية بين الشعار والعمل في الشريعة الإسلامية.

الثاني: الإلمام بمفهوم الإنسانية في الإسلام.

الثالث: قياس الإنسانية بمقياس مقاصد الشريعة.

الرابع: إظهار سماحة الإسلام وحيوية أحكامه ومناسبته لكل عصر وزمان ومكان.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

رابعاً: إشكاليات البحث:

جاءت هذه الدراسة لتجيب عن الأسئلة الآتية:

- ما موقف دين الإسلام من الإنسانية؟
- هل عمل الإسلام من أجل تحقيق إنسانية الإنسان؟
- هل لاعتبار العرق أو اللسان أو الطائفة أو الدين أثر في إيثار البعض على الآخر؟
- ما هي الأهداف التي ترمي الشريعة الإسلامية إلى تحقيقها لنيل الإنسانية كاملة؟

خامساً: منهج البحث.

اعتمدت في كتابة هذا البحث على المناهج العلمية الآتية:

الأول: المنهج الوصفي، حيث أقوم بوصف الإنسانية في ضوء مقاصد الشريعة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

الثاني: المنهج الاستقرائي، حيث أقوم باستقراء النصوص من القرآن والسنة وآثار الصحابة وأقوال العلماء، وآخذ النماذج في مختلف الحقب الإسلامية والحوادث التاريخية التي يستفاد منها في التأصيل لموضوع البحث.

الثالث: المنهج التحليلي: وذلك بذكر النصوص الشرعية وتحليلها ومناقشتها واستخراج ما يكمن فيها من المرتكزات لحقوق الإنسان، والتوصل إلى الأحكام الشرعية، وذكر مرتبتها في مقاصد الشريعة.

الثالث: ومع اعتمادي على المناهج المذكورة؛ فقد التزمت في البحث بالأمور الآتية:

١- العناية بالآيات القرآنية عناية تامة وكتابتها بشكل متميز مع الإشارة إلى السورة، ورقم الآية.

٢- العناية بالأحاديث النبوية الشريفة وتخريجها من مصادرها الصحيحة.

٣- الرجوع للمصادر والمراجع والدراسات السابقة في هذا الموضوع.

٤- التوثيق والإحالة على المراجع والمصادر في الهوامش.

سادساً: خطة البحث.

تتكون خطة البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة من أهم النتائج والتوصيات كما يأتي:

المبحث الأول: تأصيل الإنسانية ومقاصد الشريعة. يتكون هذا المبحث من خمسة مطالب:

. المطلب الأول: تعريف الإنسانية.

. المطلب الثاني: تعريف مقاصد الشريعة.

. المطلب الثالث: مقاصد الإنسانية في الإسلام.

. المطلب الرابع: الإنسانية قبل الحقوق.

. المطلب الخامس: الإنسانية قبل التدين.

المبحث الثاني: جوانب الإنسانية في الإسلام. يتكون هذا المبحث من خمسة مطالب:

- المطلب الأول: الإنسانية في العقيدة.
- المطلب الثاني: الإنسانية في العبادة.
- المطلب الثالث: الإنسانية في التشريع.
- المطلب الرابع: الإنسانية في قبول الحضارة والثقافة والتقدم.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

- المطلب الخامس: الإنسانية في التعامل والسلوك.

وقد أهمنا خلال هذا البحث التوافق بين كل العناصر والعوامل وذلك من أجل أن يكون بحثًا متكاملاً وفيه فائدة للباحثين ولمن يقوم بقراءة هذا البحث، بالإضافة إلى أننا قمنا بجمع هذه المادة العلمية من أجل الوصول إلى الهدف الأسمى بمعنى توصيل المعرفة للجميع سواء من القراء أو من الأساتذة أو غيرهم، نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتم نعمته علينا ويحفظنا من السوء، وأن يجعل هذا البحث بحثاً مفيداً للجميع.

المبحث الأول: تأصيل الإنسانية ومقاصد الشريعة.

يتكون هذا المبحث من خمسة مطالب كالآتي:

. المطلب الأول: تعريف الإنسانية.

. المطلب الثاني: تعريف مقاصد الشريعة.

. المطلب الثالث: مقاصد الإنسانية في الإسلام.

. المطلب الرابع: الإنسانية قبل الحقوق.

. المطلب الخامس: الإنسانية قبل التدين.

المطلب الأول: تعريف الإنسانية.

١. الإنسانية لغة:

هي مصدر صناعيّ من كلمة إنسان، قال الجورجاني: الإنسان هو الحيوان الناطق. (الجرجاني،، كتاب التعريفات، ٢٠٠٤م، ص: ١٨٥)، وهي ما يُميّز الإنسان من خصائص وصفات، تجعله يختلف عن بقيّة أنواع الكائنات الحيّة.

وقال صاحب (المعجم اللغة العربية المعاصرة): الإنسان مفرد، جمعه (أناسيّ)، مؤنثه إنسانة: من يتميّز بسموّ خلقه، والإنسان: اسم جنس لكائن حيّ مفكِّر قادر على الكلام المفصَّل والاستنباط والاستدلال العقليّ، يقع على الذَّكر والأنثى من بني آدم، ويطلق على المفرد والجمع، (عمر، ٢٠٠٨م، ص: ١٣٠) قال تعالى: [لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ] (التين: ٤)

٢. الإنسانية في الاصطلاح:

إنّ مصطلح الإنسانية من المصطلحات التي شاعت مؤخرًا وتردّد صداها على الألسُن وفي عناوين وسطور الكتب والمحطات الإعلامية المكتوبة والمرئية والمسموعة، وهي كلمة حديثة في اللغة العربية، لم يذكر العلماء القدامى تعريف هذه الكلمة في المعاجم، لذلك نأتي بتعريف علماء العصر الحديث لها:

قال البستاني: إنسانيٌّ منسوب إلى الإنسان، يقوم بعمل إنساني؛ يقوم بعمل نموذجي فيه الخير لبني البشر، ويتجاوب مع ما ينبغي أن يكون عليه سلوك الإنسان، ويقال: سلوك إنسانيٌ، رجل إنساني، عمل إنساني، ضمير الإنساني. (البستاني، ٢٠٠٩م)

وعرفها الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي بأنها: نظرة خلقية تعلى من شأن الإنسان وقدره، وتمنع كل ما يؤدي إلى امتهانه أو إذلاله أو إخافته، أو الانتقاض من حريته، أو انتهاك حرمته أو عقيدته. (القرضاوي، مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ١٩٩٧م)

أو هي ما اختص به الإنسان من الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة.. أو ما اختص به الإنسان دون الحيوان من الصفات، أو هي جملة الصفات التي تميز به الإنسان وهو الكائن الحي المفكر الراقي ذهناً وخلقاً عن غيره من الحيوانات. (عمر، ٢٠٠٨م، ص: ١٣٠) (البستاني، ٢٠٠٩م)

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

والإنسانية في الإسلام: متمثلة في مجموعة من المبادئ والقواعد والأحكام التي تحمي الإنسان وغيره، سواء في أوقات السلم أو في أوقات الحروب، وأنّ التزام المسلمين بها يعد التزاماً دينياً، بحيث يترتب على مخالفتها الجزاء الدنيوي والأخروي. (جابر، تأصيل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من منظور مقاصد الشريعة الإسلامية . مقاصد الشريعة والإتفاقيات الدولية.، ٢٠١٣م)

وضده اللاَّإنسانيَّة: وهي إهدار قيمة الإنسان وحقوقه، والإيمان بالعنصريّة، والقسوة في معاملة الآخرين. (عمر، ٢٠٠٨م، ص: ١٣٠)

ويمكن لي القول بأنّ الإنسانيّة: هي ما يُضادّ البهيميّة أو الحيوانيّة الشرسة، أو هي كل ما يخدم الإنسان مادياً أو معنوياً على وجه مشروع.

المطلب الثاني: التعريف بالمقاصد.

أولاً: تعريف المقاصد لغة: المقاصد جمع مقصد، وهو مصدر ميمي مأخوذ من الفعل (قصد)، يقال: قصدت قصده أي نحوت نحوه. (الأصفهاني ا.، ٢٠٠٥م، ص: ١٣٢) ويقال: قصده، وقصد له، وقصد إليه، أى نحا نحوه من باب ضرب. (الرازي م.، ص: ١٤٠، ١٩٨٦م) ولكلمة القصد في اللغة عدة معان، ذكره الراغب الأصفهاني والرازي وابن منظور وغيرهم، منها:

١. استقامة الطريق. ومن ذلك قوله تعالى: [وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ] (النحل: ٩). أي على الله بيان الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه. (الأصفهاني ا.، ٢٠٠٥م، ص: ١٣٢) (منظور، ٢٠٠٩م، ج: ٨، ص: ٢١١)

٢. القريب أو غير البعيد. منه قوله تعالى: [وَسَفَرًا قَاصِدًا] (التوبة: ٤٢). قال الراغب: أي سفراً متوسطاً غيرُ متناهي البعد، وربما فُسِّر بقريب والحقيقة ما ذكرت . أي متوسطاً . قاله الراغب. (الأصفهاني، ٢٠٠٥م، ص: ٤٠٤) لكن قال ابن منظور: أي سهلا قريباً. (منظور، ٢٠٠٩م، ج: ٨، ص: ٢١١)

٣. الاعتدال والتوسط. من ذلك قوله تعالى: [ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ] (فاطر: ٣٢). أي بين الظالم والسابق. ومنه قوله تعالى على لسان لقمان: [وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ] (لقمان: ١٩). أي امش مشيا مقتصدا ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلا وسطا بين ذلك. (ابن كثير.، تفسير القرآن العظيم، ٢٠٠٩م، ج: ٦، ص: ١٥١)

٤. الأَم والاعتماد والاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء على اعتدالٍ أو جورٍ. يقال: قصد إليه إذا أمَّه، وأقصد السهم أصاب وقتل مكانه، كأنه وجد قصده، وهذا المعنى .(هو الأصل في هذه الكلمة) (الأصفهاني ا.، ٢٠٠٥م، ص: ١٣٢)

٥. الاكتناز في الشيء: يقال: ناقة قصيد أي مكتَنِزَةٌ مُمتلئةٌ لَحْماً (الأصفهاني ا.، ٢٠٠٥م، ص: ١٣٢)

بعد عرض المعاني اللغوية نجد أنّ المعاني التي تعنينا هنا والتي تتناسب مع المعنى الاصطلاحي هي:

١. الاعتماد والأم والتوجه وإتيان الشيء.
٢. استقامة الطريق.
٣. العدل والتوسط، أو الاعتدال والوسطية.

أما المعنى الخامس والسادس فلا علاقة لهما بالمعنى الاصطلاحي لذلك نستبعدهما.

وهذه المعاني تتناسب مع المعنى الاصطلاحي لمقاصد الشريعة، فيلاحظ في المقاصد الشرعية أنها تتجه إلى مراد الشارع ومقصود الحكم ومصالح التشريع، ومراميه وأهدافه، وأنها تهدف إلى ملازمة الطريق السوي والمستقيم والسهل والقريب، وأنها تهدف إلى تحقيق الاعتدال والوسطية في الأمور كلها، بلا إفراط ولا تفريط وبلا زيادة ولا تنقيص، فالشريعة وسطية ومعتدلة ومتزنة، (جبه‌جي، ١٣) قال تعالى: [وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا](البقرة ١٤٣).

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

ثانياً: تعريف المقاصد اصطلاحاً.

بناءً على كل ما ذكرنا يمكن أن نقول: إن مقاصد الشريعة هي اليسر والسهولة ومراد الحكم ومدلوله وهدفه، وتحقيق العدل والاعتدال والتوسط والوسطية، وغير ذلك مما هو من صميم هذه المقاصد.

وهناك تعابير وكلمات أخرى للمقاصد يعبر بها العلماء أحياناً، قديماً وحديثاً، وهذه التعابير والكلمات مرادفة تقريباً للمقاصد، مثل التعبير بـ (الحكم) و(العلل) و(الأسرار)و (المراد) و(الغرض) و(المقصد) أو (المقصود)، كلها من الناحية اللغوية تفيد معاني متقاربة جداً أو متطابقة.

وإنما كان مصطلح (الغرض) أو (المراد) أكثر استعمالاً عند المتقدمين، أمّا كلمة (المقاصد) فقد استحوذت على هذا المعنى بعد القرن الرابع الهجري، دون أن تلغي هذه الكلمات غيرها من الكلمات، لأنّ اللفظ الواحد لن يكون كافياً وشافياً في التعبير، عن هذا المعنى العظيم الجليل المتعدد الأبعاد والجوانب، فالمقاصد هي: الهدف أو الغرض أو المطلوب أو الغاية من الأحكام الشرعية. (الريسوني ا.، محاضرات في مقاصد الشريعة ، ص: ٢٢. ٢٦، ٢٠١٠م)

ثالثاً: تعريف مقاصد الشريعة كعلم لعلم معين.

لقد تنوعت عبارات الأصوليين والمقاصديين في تحديد معنى مقاصد الشريعة الخاصة بها إلى عدة عبارات، كما اختلفت عبارات المتقدمين عن عبارات المتأخرين، لذلك سنذكر إن شاء الله تعالى تعاريف أهل العلم من الأصوليين المتقدمين والمتأخرين ليتجلى لنا المعنى الدقيق الواضح لمقاصد الشريعة وهي كما يأتي:

١. مقاصد الشريعة عند الأصوليين المتقدمين.

لقد حاول بعض الباحثين المعاصرين بوضع تعريف خاص للمقاصد عند العلماء القدامى منهم الباحث حسام إبراهيم حسين في رسالته للحصول على درجة الماجستير. بوضع تعريف خاص للمقاصد عند الشيخ عز بن عبدالسلام، وذلك بعد تتبع نصوص الشيخ على ما اعتقد . وتوصّل إلى تعريف وهو: جلب المصالح وأسبابها للخلق، ودرء المفاسد وأسبابها عنهم في الدارين أو الجمع بين الأمرين. (حسام إبراهيم حسين، ص: ٥، ٢٠٠٢م).

والباحث يوسف أحمد البدوي قد استقرأ في رسالته لنيل درجة الدكتوراه نصوص الشيخ إبن تيمية وجمع تعبيراته المتعلقة بالمقاصد - من مختلف مؤلفاته - ووصل إلى تعريف بصياغته ومضمون كلام الشيخ هو: الحِكم التي أرادها الله من أوامره ونواهيه لتحقيق عبوديته وإصلاح العباد في المعاش والمعاد. (البدوي، ١٩٩٩م، ص: ٥٤)

لكن الصحيح أنّه لم يرد عن العلماء القدامى وعن الأصوليين الأوائل تعريف محدد لعلم مقاصد الشريعة، وإنّما يوجد لديهم بعض العبارات والكلمات التي كان لها تعلق ببعض محتوياتها ومفرداتها، وببعض أقسامها وأنواعها، فقد كانوا يعبرون عن المقاصد بعبارات: (المصلحة والمفسدة وعبارات الحكمة والعلة والهدف والمعنى والغاية، وعبارات حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وعبارات الأسرار والمحاسن والقصد والنيات وغير ذلك) وسبب ذلك يعود إلى أنّ صدر هذه الأمة لم يكونوا يتكلفون ذكر الحدود ولا الإطالة فيها لأنّ المعاني كانت عندهم واضحةً ومتمثلةً في أذهانهم، وتسيل على ألسنتهم وأقلامهم دون كدٍّ أو مشقَّة، وإليك بعض أقوالهم وعباراتهم:

فصاحب الريادة في هذا العلم الإمام الجويني قد استعمل لفظ المقاصد، والمقصود، والقصد، في كتابه البرهان، كما أنه كثيرا ما يعبر عن المقاصد بلفظ الغرض، والأغراض. كما عبر عنها بالأغراض الدفعية والنفعية. (الجويني ع.، ج: ٢ ص: ٦٠٤) ثم اشتهر مصطلح (جلب المصلحة ودفع المضرة) بديلاً له.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

وكما أنه نبه على تقسيم المقاصد إلى (ضرورية، وحاجية، وتحسينية)، حيث قسم أصول الشريعة إلى خمسة أقسام .القسم الأول: ما يتعلق بالضروريات، مثل القصاص، فهو معلل بحفظ الدماء المعصومة، والزجر عن التهجم عليها. القسم الثاني: ما يتعلق بالحاجة العامة، ولا يبلغ حد الضرورة. وقد مثله بالإجارات بين الناس. القسم الثالث: ما ليس ضرورياً ولا حاجيا حاجة عامة. وإنما هو من قبيل التحلي بمحاسن الأخلاق، والتخلي عن نقائضها، والقسم الرابع: وهو ما لا يتعلق بحاجة ولا ضرورة ولكنه دون الثالث بحيث ينحصر في المندوبات مكرمة لم يرد الأمر على التصريح بإيجابها بل ورد الأمر بالندب إليها. والقسم الخامس: هو ما لا يظهر له تعليل واضح ولا مقصد محدد لا من باب الضرورات ولا من باب الحاجات ولا من باب المكرمات، وهذا الصنف نادر جدا في الشريعة، ويبحث ذلك في العبادات البدنية المحضة التي، لا يتعلق بها أغراض دفعية ولا نفعية. (حنان ساري و محمد أبو الليث الخيرآبادي، ٢٠١٨م)

والإمام الغزالي: أشار إلى المقاصد العامة للتشريع، لكن لم يذكر تعريفا خاصاً بعينه وقال: (أما المصلحة: فهي عبارة في الأصل عن جلب المنفعة أو دفع المضرة، ولسنا نعني به ذلك فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم، لكنا نعنى بالمصلحة؛ المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو: أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم. فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة) (الغزالي ل.، المستصفى من علم الأصول، ٢٠١٦، ص: ٢٧٥)

وأشار الإمام الآمدي إلى مقاصد الشريعة بقوله: (المقصود من شرع الحكم: إما جلب مصلحة أو دفع مضرة أو مجموع الأمرين) (الآمدي، ٢٠١١م، ج: ٣، ص: ٢٣٧)

وكذلك الإمام العز بن عبد السلام عبر عن المقاصد في إطار (جلب المصلحة ودفع المفسدة) وقال: (فمن تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفاسد حصل له من مجموع ذلك اعتقاداً أو عرفا، أن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها وأن هذه المفسدة لا يجوز قربانها وإن لم يكن فيها نص ولا إجماع ولا قياس خاص) (عزالدين، ٢٠٠٧م، ج ٢ ص: ٣١٤)

٢ـ تعريف مقاصد الشريعة عند المتأخرين والمعاصرين.

لا شك أنّ للعلماء المتأخرين والمعاصرين تعاريف كثيرة لمقاصد الشريعة وتحديدها، لكن عندما ننظر إليها نجد أنها غالباً تختلف في العبارات والألفاظ وتتقارب جملة في المعنى والدلالة، نورد بعضاً منها:

١. قال مجدد هذا العلم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: (وهي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة، وغاياتها العامة، والمعاني التي لا يخلوا التشريع من ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضاً معان من الحكم، ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها. (ابن عاشور م.، ٢٠٠٩م،ص: ٥٥)
٢. قال علال الفاسي: (المراد بمقاصد الشّريعة: الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها. (الفاسي، ٢٠١٤م، ص: ١٣)
٣. قال خليفة بابكر حسن: هي الروح العامة التي تسري في كيان تلك الأحكام، والمنطق الذي يحكمها ويبرزخصوصيتها، وينبئ عن تميز أسلوبها وتفرد طريقتها وارتباطها بأسسها ومنطلقاتها. (حسن، ١٩٨٧م، ص: ٧)
٤. قال الدكتور أحمد الريسوني: (هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد. (الريسوني ا.، نظرية المقاصد عند الشاطبي، ١٩٩٥م، ص: ١٩)

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

٥. قال الدكتور نورالدين بن مختار الخادمي: المقاصد هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حكماً جزئيةً أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين. (الخادمي ا.، الإجتهاد المقاصدي حجيته، ضوابطه، مجالاته، ١٩٩٨م، ص: ٥٢)

٦. قال الدكتور مصطفى بن كرامة الله المخدوم: المقاصد هي المصالح التي قصدها الشارع بتشريع الأحكام. (مخدوم ا.، ١٩٩٩م، ص: ٣٤)

بعد ذكر هذه التعريفات نجد أن هذه التعريفات كلها تدور حول أربع إتجاهات:

- اتجاه يعبر عن المقاصد الشريعة ب(الحِكم)، كما هو ظاهر في تعريف إبن عاشور.
- اتجاه يعبر عن المقاصد ب(الغاية والأسرار) كما هو ظاهر في تعريف كل من علال الفاسي، والدكتور أحمد الريسوني.
- اتجاه يعبر عنها ب(المصالح) كما هو حال تعريف الدكتور مصطفى مخدوم.
- اتجاه يرى بأن المقاصد هي (روح الشريعة)، كما يظهر ذلك جلياً في تعريف خليفة بابكر حسن.

ولا ننسى أنّ هناك اتجاهاً خامساً يحاول أن يعبر عن المقاصد ب(فلسفة الشريعة)، أو فلسفة التشريع الإسلامي، كالدكتور صبحي محمصاني في كتابه فلسفة التشريع الإسلامي، والدكتور خليفة بابكر حسن في كتابه فلسفة مقاصد التشريع، والدكتور جاسر عودة في كتابه مقاصد الشريعة فلسفة للتشريع الإسلامي وغيرهم، لكن هذا القول غير سديد، لأن إطلاق وصف الفلسفة على مقاصد الشريعة قد يوهم أو يعزز التوهم بأن علم المقاصد عبارة عن علم نظري نخبوي بعيد الأغوار، يخوض في شؤون السماوات السبع وما أظللن، والأرضين السبع وما أقللن، وأنه لذلك لا يستطيع الوصول إليه والإستفادة منه سوى عِلية العلماء والمفكرين، القادرين على سبر الأغوار وكشف الأسرار. (محمصاني، ١٩٥٢م.) (الدكتور جاسر عودة، تعريب: الدكتور عبداللطيف الخياط، ٢٠١٢م، ص: ٦٨)

المطلب الثالث/ مقاصد الإنسانية في الإسلام.

الإنسانية بشكل عام كما بينا من قبل تعني العطف على جميع الناس والتعامل معهم بالإحسان والإكرام، والإنسانية في الإسلام هي عبارة عن المزايا الناشئة عن التكريم الإلهي الذي وهبه الله تعالى للإنسان، وألزم الجميع باحترامها، طبقاً للضوابط والشروط الشرعية.

فالإنسان بنفسه محور في الإسلام، يدور حوله كل شيء، وخلق من أجله كل شيء، حيث قال الله تعالى: [هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا](البقرة: ٢٩) وقال تعالى: [أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً] (لقمان ٢٠). وخلقه الله بيده من بين سائر المخلوقات ونفخ فيه من روحه تشريفاً له، وأمر ملائكته بالسجدة له ترحيباً وتكريماً له: [فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ](الحجر: ٢٩) وهو خليفة الله على الأرض: [وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً] (البقرة: ٣٠) لذلك خلقه على أحسن الصورة وأجمل الصفات، قال تعالى: [لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ] (التين: ٤) وأرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الشريعة وأعطاه العقل لكي يتفكر ويتدبر ويبدع ويقود جنس الحيوان بأكمله، قال تعالى: [وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ](النحل: ٤٤)، فإذن الإنسان بنفسه مخلوق مكرم في الإسلام، بغض النظر عن جهته أو موطنه أو لونه أو جنسه أو عرقه أو وظيفته أو مكانته الاجتماعية والسياسية، قال الله تعالى: [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ] (الإسراء: ٧٠) ولم يقل: ولقد كرمنا المسلمين!!. وهذا ما يوضحه جليا فعل وقول النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم حينما مرت عليه جنازة وهو جالس فقام لها واقفا، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: أليست نفسا؟! (البخاري، ٢٠٠٣م، رقم ١٢٦٣)

وهكذا نجد الخطاب القرآني للإنسان تكرر ثلاثا وستين مرة، كما تكررت كلمة (الناس) فيه مائتين وأربعين مرة... وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على شمولية الرسالة الإسلامية وعلى المكان السامي للإنسان فيها.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

وإذا نظرت في الفقه الإسلامي وجدت (العبادات) لا تأخذ إلا نحو الربع أو الثلث من مجموعه، والباقي يتعلق بأحوال الإنسان من أحوالٍ شخصية، ومعاملات، وجنايات، وعقوبات، وغيرها.

على أنّك إذا تأملت العبادات الكبرى نفسها، وجدت معظمها (إنسانيّة) في جوهرها، وكذلك عقيدة الإسلام وحدوده وكفارته وسلوك وتعامله كلها إنسانية.

وهذا ما ساقه الرّاغب الأصفهاني إلى اعتبار (عمارة الأرض) واحدا من المقاصد الثلاثة التي يدور حولها خلق الإنسان وإيجاده، وأن تفاوت الناس فيما بينهم ورقّي المجتمعات هو بمقدار تحقيقهم لهذه المقاصد وإقامتهم لها، حيث ذكر تحت عنوان (ما لأجله أوجد الإنسان) ويقول: الإنسان من حيث هو إنسان كل واحد كالآخر، كما قيل: فالأرض من تربة، والناس من رجل، وإنما شرفه بأنه يوجد كاملًا في المعنى الذي أوجد لأجله... إلى أن قال: والفعل المختص بالإنسان ثلاثة أشياء:

١. عمارة الأرض المذكورة في قوله تعالى: [هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا] (هود: ٦١)، وذلك تحصيل ما به تزجية المعاش لنفسه ولغيره.
٢. وعبادته المذكورة في قوله تعالى: [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] (الذاريات: ٥٦) وذلك هو الامتثال للباري عز وجل في أوامره ونواهيه.
٣. وخلافته المذكورة في قوله تعالى: [وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ] (الأعراف: ١٢٩) وغيرها من الآيات، وذلك هو الاقتداء بالباري سبحانه على قدر طاقة البشر في السياسة باستعمال مكارم الشريعة. (الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة،١٩٨٠م، ص: ٣٠)

فعمارة الأرض مقصد للشارع من إيجاد الخلق والتكوين، ولا يتحقق هذا المقصد إلا بقيام العدالة بين الناس في الحكم والإحسان والفضل وفعل الخيرات، وهذا لب الإنسانية التي يدعو إليها الإسلام، وأخبر بأن من يسعى إلى تحقيقها يبلغ بذلك جنة الخلد وجوار رب العزة تبارك وتعالى.

وقد تطرّق الدكتور جمال الدين عطية في كتابه: (نحو تفعيل مقاصد الشريعة) إلى مقاصد الشريعة فيما يخص الإنسانية، وذلك من خلال حديثه عن: (الكليات الخمس إلى المجالات الأربع)، فأكد على أنّ الآيات القرآنية لا تقتصر على الدعوة إلى الإيمان وتدلل عليه، وإن كان هذا هو الأغلب الأعم، ولكنها تدعو كذلك ضمن خطابها إلى أصول كلية لا تتوقف الاستجابة لها على الإيمان المسبق، لأنها تعتمد على العقل والمنطق وتخاطب الفطرة وتدعو إلى ما فيه مصلحة عامة للبشر لا ينازع فيها أحد، ويظهر ذلك في أن الإسلام عالمي الرسالة من أول يوم، جاء يقول: (يا أيها الناس وغيرها)، لا (يا أيها العرب)، ويدعو إلى الله (رب العالمين)، لا رب المسلمين، ولا رب العرب وحدهم، ويعلن أن دعوته عامة لا خاصة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين أو كافة للناس أجمعين)، ثم ينطلق إلى تحديد مقاصد الشريعة في مجال الإنسانية على النحو التالي:

المقصد الأول: التعارف والتعاون والتكامل.

المقصد الثاني: تحقيق الخلافة العامة للإنسان في الأرض.

المقصد الثالث: تحقيق السلام العالمي القائم على العدل.

المقصد الرابع: الحماية الدولية لحقوق الإنسان.

المقصد الخامس: نشر دعوة الإسلام. (عطية، ٢٠٠١م، ص: ١٦٤)

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

وقال الدكتور محمد الراتب النابلسي: إنّ الإنسانية إحدى خصائص الإسلام الكبرى، إنها تشغل حيزاً كبيراً في منطلقاته النظرية، وفي تطبيقاته العملية، وقد ربطت بعقائده وشعائره ومنهجه وآدابه ربطاً محكماً. (النابلسي، النزعة الإنسانية في الإسلام / خطبة إذاعيه ، ١٩٩٥م)

وقال الدكتور يوسف االقرضاوي: أنّ الإسلام مع ربانيته في غايته ووجهته هو إنساني أيضا في الغاية والوجهة، ومن هنا نقول: إن للإنسان مكانا، أي مكان في غايات الإسلام العليا، وأهدافه الكبرى، مع تقرير غايته الربانية، وإبرازها وتثبيتها، إذ لا تنافي بين الغاية الربانية، والغاية الإنسانية، بل هما متكاملتان. أجل، لا تنافي . في نظر الإسلام . بين الربانية والإنسانية، فتقدير إنسانية الإنسان هو من الربانية التي قام عليها الإسلام. فالله هو الذي كرم هذا الإنسان، ونفخ فيه من روحه، وجعله في الأرض خليفة، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة. وإذا كان مصدر الإسلام "ربانيا"، فإن "الإنسان" هو الذي يفهم هذا المصدر، ويستنبط منه، ويجتهد على ضوئه، ويحوله إلى واقع تطبيقي ملموس. وإذا كانت الربانية هي غاية المجتمع المسلم كما هي غاية الفرد المسلم، فإن مضمون هذه الغاية هو سعادة الإنسان، وفوزه بالنعيم المقيم في جوار رب العالمين. وإذا كانت الربانية هي رسالة المسلم، فإن أهداف هذه الرسالة هي تحقيق الخير للإنسان والسمو به، والحيلولة بينه وبين الانحراف والسقوط. (القرضاوي، مدخل لدراسة الإسلام، ٢٣٨. ٢٤٠)

وفكرة الإسلام: أن الإنسان لا يستطيع أن يكون ربانيا حقا، دون أن يكون إنسانيا، كما لا يستطيع أن يكون إنسانيا حقا، دون أن يكون ربانياً. (القرضاوي، مدخل لدراسة الإسلام، ٢٣٨. ٢٤٠)

والإنسانية تدخل في باب المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، لأنها من الغايات الكبرى التي خلق الله الإنسان لأجلها ولتحقيقها، فالأعمال الإنسانية هي موضوع الأحكام الإلهية، ولن يستفيد الله شيئاً من أعمال الإنسان، وإنما هم الذين يستفدون منها، إذ تربى في نفوسهم الإمتثال، وتزكيهم وتزرع في ذاتهم التقوى، وتحثهم على الإتقان في العمل وكل ذلك مطلوب في العبادة والعمارة.

المطلب الرابع/ الإنسانية قبل الحقوق.

من المجرب أنّ بناء المجتمع السليم، وقيام الدولة المتقدمة، وتكوين الحضارة والمجتمعات الراقية، وضمانة الحقوق وتوفيرها، والتدين الصحيح تبدأ ببناء الإنسان نفسه أولاً، وبناء الأفراد الذين يمثلون تلك المجتمع وتلك الدولة وتلك الحضارة وذلك الدين، فاذا كان بناء الانسان صحيحا سيكون المجتمع متقدما، والوطن سليماً، والتدين صحيحاً، والحقوق متوفراً، لذلك أرى أن عنوان هذا المطلب يضمن معاني عدة، وأبعاد عديدة، يستحق الدراسة والبحث والتأمل، وكما تفرض بعض الأسئلة نفسها عنه، يجب أن نبحث وراء أجوبتها لكي نصل إلى نتيجة تروى ظمآننا، منها:

من الذي يستحق أن يقال له (إنسان)؟ متى يبلغ الإنسان حداً يستحق كل هذه التكريمات الإلهية التي ذكرناها من قبل؟ هل كل بشر أو آدمي

إنسان وله إحساس الإنسانية؟ هل يستحق كل من يقال له إنسان إعطاء كل هذه الحقوق؟ هل التدين مانع أمام إعطاء الحقوق؟ بعبارة أخرى هل التدين يقدم أم الإنسانية؟ نأخذ جوابها من النقاط الآتية:

الأول: الفرق بين البشر والآدمي والإنسان. البشر مشتق من البشارة، وهي حسن الهيئة؛ يقال: رجل بشير، وامرأة بشيرة إذا كان حسن الهيئة؛ فسمي الناس بشرا لأنهم أحسن الحيوان هيئة وبشرة. فللبشر تعريف ثابت وهو: موجود يمشي على رجلين، لقد جاء لفظ (بَشَر) في القرآن ثلاثاً وعشرين مرة، وكذلك لفظ (إنسان) لكن لاحظنا أن لفظ (بشر) غالباً جاء مقارناً بما أعلاه، فمثلاً قال تعالى على لسان نساء مصر : [فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ] (يوسف: ٣١) أي أعظمن شأنه، وأجللن

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

قدره، ورأينه أنه فوق مرتبة البشرية... وقال تعالى على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم : [قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ] (الكهف: ١١٠) أي لولا الوحي لكنت بشراً مثلكم، لكن بالوحي صرت أعلى مرتبة منكم.

لذلك كل من يمشي على رجلين ليس بإنسان، ولا يستحق كل من عليه بشرة الإنسان أن يقال له (إنسان)، لأن البشر كينونة، بينما الإنسان صيرورة، وفرق الإنسان عن البشر وسائر الظواهر الطبيعة الأخرى من حيوان ونبات وجماد؛ هو أن الظواهر الطبيعية الأخرى كل منها كينونة، والإنسان هو الوحيد بذلك المعنى الخاص وهو الصيرورة، ما معنى ذلك؟ فلننظر إلى الأرضة منذ خمسة عشر مليون سنة وجدوا آثارا في إفريقيا من مساكن الأَرَضة بحيث نرى أن تنظيم مساكنها وبنائها في ذلك العصر كتنظيمها وترتيبها الآن تماماً، بناءً على هذا فالأرضة كينونة مادامت موجودة في كل مكان وزمان، وكل واحدة من (الأرضة) له وجود ثابت لا يتغير، دائماً لها تعريف ثابت واحد، كذلك الجبال والنجوم، والماء، والحشرات، والفرس، والأسد والطائر، وكذلك البشر أيضاً. (شريعتي، ٢٠٠٧م، ص: ٥٢.٤٧)

أما الإنسان بمعنى تلك الحقيقة السامية التي علينا نحن كبشر أن نسعى للوصول إليها، نسعى لنجَسدها، فهو عبارة عن المميزات السامية التي هي بمثابة المميزات النموذجية التي يجب أن نحصل عليها، عبارة عن المميزات التي ليست موجودة ولكن يجب أن يكون، وبناءً على هذا فهدف البشر هو أن يكون إنساناً، وأيضاً فإنّ كينونة الإنسان لم تكن بمرحلة ثابتة بحيث عندما تصل إليها تكون قد وصلت إلى صيرورة، لا، فإن الإنسان دائماً في حال الصيرورة، دائماً في تكامل دائمي وأبدي إلى ما لا نهاية. (شريعتي، ٢٠٠٧م، ص: ٥٢.٤٧)

فلذلك كلمة (بشر) تستخدم في القرآن للإشارة إلى التَّركيب المادِّي للشَّخص، وهو ذو طبيعة ظاهرة، له جسد كثيف لا يشف عما تحته، أو خلفه، أو وراءه، وله حيز من الفراغ وله كتلة، تعني أنه مخلوق لا يعرف غير الظاهر، ولا يتعامل إلا مع الظواهر، أما كلمة الإنسان فتدلُّ على الهيكل المَّادِّي والرُّوحي معا، يتعامل مع الظاهر والباطن، وإن ننظر إلى القرآن نرى أن نداء القرآن وخطاب الله تعالى كان للإنسان وليس للبشر، فنجد (يا أيها الإنسان)و(يا أيها الناس) ولا نجد (يا أيها البشر) (العسكري، ٢٠١٠م، ٣٠٧ . ٣٠٩).

والآدمي أو بنو آدم: هو من تولد من آدم عليه السلام، وآدم: يعني الترابي، اسم علم مذكر، هو الإنسان الأول. فجاء ذكر اسم آدم في القرآن الكريم ثلاثين مرة، بينما جاء النداء (يا بني آدم) في القرآن الكريم خمس مرات فقط، أربع مرات في سورة الأعراف، وواحدة في سورة (يس) فالمرات الأربع التي ورد فيها النداء (يا بني آدم) في سورة الأعراف جاء كلها بعد أن قصت علينا السورة قصة آدم بالتفصيل منذ خلقه الله تعالى وأمر الملائكة بالسجود له ورفض إبليس السجود، وطرده من رحمة الله، وتهديده بني آدم بإغوائهم، ثم إسكان آدم وزوجه الجنة، ثم أكلهما من الشجرة... الخ، والمرة التي جاءت في سورة (يس) جاءت بعد ذكر المجرمين، فيها تقريع من الله للكفرة من بني آدم، وينهاهم عن عبادة الشيطن. وكل ذلك لتذكر الناس بأبيهم آدم وأصلهم التراب، ولتذكرهم بخطأ أبيهم آدم ومعصية إبليس، لكي يتعظوا بها ولا يتكرروها، وأما النداء ب(يا أيها الإنسان) جاء مرتين فقط في القرآن، وفي كليهما يعمل النداء القرآني على الجانب الروحي والسمو الروحي، فيربطه بخالقه العظيم، لكي يجتهد في العمل ومما يقربه إليه وهما: [يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ] (الانفطار: ٦) و[يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ](الانشقاق: ٦)

وجاء النداء القرآني ب (يا أيها الناس) عشرين مرة، فقد تنوعت المناداة به بين أوامر متعددة كعبادة الله، وكالأمر بأن يأكلوا من كسب الحلال الطيب، وكالتذكير والتحذير من زلزلة الساعة، وكالتأكيد على أن وعد الله بالجنة للمؤمنين حق، والتذكير بنعم الله على الناس، والتحذير من الاغترار بالدنيا، وكالتأكيد على صدق الرسول في كونه مرسلاً الى الناس جميعاً، وكالأمر بالرسول بإبلاغ مانزل إليه وغيرها، ومما يلاحظ في هذه النداءات بأنها لا تحمل في محتواها نوعاً من العبادات، ولا تحمل أحكاماً شرعية، لأن مثل ذلك قد اختص به نداء آخر هو (يا أيها الذين آمنوا)، حيث أن النداء (بالناس) يقصد الناس جميعاً المؤمن منهم برسالة محمدﷺ والمنكر لها، وهذا يدل على أنّ الدين الإسلامي يخاطب الإنسان جميعاً وهو مقصوده الأول، ولا يخاطب المؤمنين به فقط..

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

لذلك يقال الإنسانية هى مرتبة أعلى من البشرية والآدمية، فالبشرية هي ظاهر الإنسان فقط، والآدمية هي الترابية، أما الإنسانية هي الظاهر والباطن، والترابية والعلوية.

فالآن نصل إلى بعض جواب السؤالات السابقة، وهي: ليس كل من يمشي على رجلين يستحق الكرامة والحقوق، فبعض البشر والآدميين لا يستحق الكرامة؛ لأنه أخس وأضل من الحيوانات والجمادات، لأنه لا يؤمن بالله العظيم، ولا يؤدي حقوق الآخرين، ولا يعرف إلا لغة الحرب والشر والخراب والفساد وهتك كرامة الآخرين، وبعض البشر والآدميين لا يستحق حتى حق الحياة، لأن وجود حياته تهديد على حياة المجتمع، لأنّه سفك دماء الأبرياء سابقاً، وخان الدين والوطن خيانة عظمى، وكذلك بعض البشر والآدمي لا يستحق حق الحرية، لأن في حريتهم تكون اضطهاد الآخرين، وبعض آخر لا يستحقون حق التمتع بالزواج، لأنهم لا يؤدون حقوق الزوجية، وبعض آخر يجب أن يمنع من الكسب والمعاملة، لكي لا يضرون بأموال الآخرين وهكذا، والذي يستحق الكرامة والحقوق الكاملة هو من بلغ مرتبة الإنسانية.

الثاني: بناء الإنسان أولاً ثم إعطاءه الحقوق. قبل أن نتكلم في حقوق الإنسان يجب علينا أن نتكلم عن الإنسان نفسه، أي يجب علينا أن نبني الإنسان ثم نعطيه الحقوق، لأن بناء الإنسان على القيم والمبادئ والأخلاق الحسنة والتربية والتعليم هو أساس كل الحقوق، فيجب أن يهتم بها قبل بناء أي شيء، وهو السبيل الحقيقي لبناء مجتمع سليم يعرف كيف يمارس الحقوق بشكل صحيح وطبيعي، ومع ذلك نجد أن حركة حقوق الإنسان والمنظمات المختصة بحقوق الإنسان اهتمت ببناء منظماتها وقواعدها وشعائرها وفتح فروعها وكتابة الحقوق على الورق من حيث الكمية والكيفية ونست بناء الإنسان وأفراد المجتمع وتأهيلها لهم، فلذلك نجد حركة حقوق الإنسان ومنظماتها في واد والإنسانية في واد آخر، وهذا أمر كارثي.

قال الدكتور أحمد الريسوني: (أهم خلل في نظري تعاني منه حركة حقوق الإنسان وثقافة (حقوق الإنسان) هو أنها ركزت على حقوق الإنسان، وأهملت أصل هذه الحقوق ومناطها الذي هو الإنسان، كمن اعتنى بجني الثمرة وتلميعها وأعرض عن سقي الشجرة وتهذيبها، والحقيقة أن هذا مجرد مثال للقيم المقلوبة المنكسة في الحضارة الغربية والثقافة الغربية، قال الله تعالى: [أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ] (الملك: ٢٢). فالتركيز على حقوق الإنسان مع إهمال كيان الإنسان، ومع إهدار جوهر الإنسان، هو من قبيل تركيزهم على حقوق الإنسان دون تركيز مماثل على الواجبات، حتى أصبحنا أمام إنسان الحقوق لا أمام حقوق الإنسان، ومن قبيل تضخيمهم للبعد الفردي على البعد الجماعي لحقوق الإنسان، إلى غير ذلك من القيم المقلوبة) (الريسوني، كتاب الأمة، ٢٠٠٢م، ٣٩ . ٤٠)

الوضع الطبيعي والسوي هو أن تكون العناية بالإنسان من حيث هو إنسان وبناؤه وتربيته وتكوين شخصيته أسبق وأكثر من العناية بحقوق الإنسان، لأن هذه الحقوق إنما أضيفت للإنسان واستحقها، لكونه إنساناً، لا لأنه كائن من الكائنات أو مخلوقٌ من المخلوقات، وإلا لا يعلم كيف يمارس حقوقه، ويتجاوز به من الحد الطبيعي والشرعي والقانون، فمثلاً إن تعط حق الحرية لبشر ليس له القيم الإنسانية فهو لا يعلم كيف يمارسها، وربما يتجاوز بها الحد، ويتعدى به حدود حرية الآخرين، فبذلك يخلق الفوضى، كما نرى ذلك واضحاً في بعض دول الغرب، فالحرية خلعت منهم القيم، والحياء، والشخصية وغيرها من السمات الإنسانية.

لذلك كانت حركة الإسلام الأولى؛ الَّتي قادها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية تركز على تنظيم جهود الدَّعوة، وإقامة الدَّولة، وصناعة الإنسان النموذجيّ الرَّبانيّ الحضاريّ خاضعة لسنن وقوانين قد ذكر بعضها بنوعٍ من الإيجاز؛ كأهمِّيَّة القيادة في صناعة الحضارات، وأهمِّيَّة الجماعة المؤمنة المنظَّمة في مقاومة الباطل، وأهمِّية المنهج الَّذي تستمدُّ منه العقائد، والأخلاق، والعبادات، والقيم، والتَّصوُّرات. والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعمل على تربية صحابته تربية صحيحة، ويعلمهم كيفية التعامل مع نفسهم ومع من حولهم

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

من الأقرباء وغيرهم، لكي يكونوا ذا استعداد لما يأتي، وهذه المرحلة طالت حوالي ثلاث عشرة سنة، وطوال هذه الفترة لم يفرض الله تعالى عليهم العبادات، من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فيما يدل على أنّ الإنسانية مقدم على الحقوق والواجبات. (الصلابي ا.، ٢٠١٨م)

وفي النتيجة قطف التاريخ البشري من ثمرة هذا الجهد النبوي مجتمعاً سليماً صحيحاً ذا قيم إنسانية، وصارت هذه المرحلة من الزمن خير

القرون طوال التاريخ البشري، فأدى كل نفس ما عليها من الواجبات والمسؤولية، كما أخذ كل صاحب حق حقه.

المطلب الخامس/ الإنسانية قبل التدين.

تسبق الإنسانية في الإسلام على الحقوق والتدين . وليست قبل الدين فالدين مقدم على كل شيء لأنه من الله عز وجل وهو منبع الإنسانية، بدليل أن صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان في بعض الأحيان، لأن صحة الأبدان مناط للتكليف وموضوع للتدين والإيمان، ومن هنا كانت إباحة الضرورات الإنسانية للمحظورات الدينية.

والإسلام ليبلغ في تقديس ضرورات الإنسانية الواجبة إلى الحد الذي يراها الأساس الذي يستحيل قيام الدين بدون توفرها للإنسان، فعليها يتوقف الإيمان ومن ثم التدين بالدين. (عمارة، ١٩٧٨م، ص: ١٥)

ولا نقصد بالإنسانية قبل التدين مذهب الأنسنة اللاديني الذي يراد منه أن نستغني بالمفهوم الإنساني عن الدين، وإنما القصد بذلك أنه لا يمكن أن تكون اللاإنسانية من الدين، لأنّ في نظر الإسلام نظرة التعالي بالعبادة فيها خطر على تدين الفرد وعلى حاله مع الله، وفيها . أيضاً . خطر على صلته بالمجتمع ومن يحيطون به؛ لأن صاحبها يتعامل مع المجتمع بتعالي فيصطدم معه؛ فيتصرف بقسوة فيتحول بعد ذلك إلى الإرهاب الذي نراه اليوم، وكما أنّ التطرف في التدين يؤدي إلى الاتصال بظاهر العبادة دون الوقوف على حقائقها ومعانيها؛ ومن غير ارتباطها بشؤون الحياة المختلفة. (الجفري، ٢٠١٥م، ٣٩٤.٣٩٥)، وبذلك تخرج العبادة والتدين من مقصدها الأصلي ولا تتحقق منها الغايات النبيلة التي شرعت من أجلها.

فعن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: (كُنْتُ وَأَنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ برَجُلٍ بمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عليه فوَجَدتُهُ مُسْتخفيًا بشأْنِه، فتَلطَّفْتُ له حتى دخَلْتُ عليه، فسَلَّمْتُ عليه، فقلْتُ له: ما أنت؟ فقال صلى الله عليه وسلم: نَبيٌّ، فقلْتُ: وما النَّبيُّ؟ فقال: رسولُ اللهِ، فقلْتُ: ومَن أَرسَلَك؟ قال صلى الله عليه وسلم: اللهُ عزَّ وجلَّ، قلْتُ: بماذا أَرسَلَك؟ فقال صلى الله عليه وسلم: بأنْ تُوصَلَ الأرحامُ، وتُحْقَنَ الدِّماءُ، وتؤْمَنَ السُّبُلُ، وتُكْسَرَ الأَوثانُ، ويُعبَدَ اللهُ وحْدَه لا يُشرَكُ به شَيءٌ. قلْتُ: نِعمَ ما أَرسَلَك به، وأُشهِدُك أنِّي قد آمَنْتُ بكَ وصَدَّقْتُك)(أحمد، ٢٠٠١م، الرقم: ١٧٠١٦، وقال: شعيب أرناؤوط في تخريجه: صحيح)

في هذا الحديث درس عظيم من دروس النبوية، حيث من تأمل يجد أنّ أصل الرسالة عقيدة التوحيد [قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ] (فصلت: ٦) ومع ذلك قدم النبي الكريم في تعريفه الرجل بما أرسله الله به ثلاثة أمور إنسانية قبل أن يذكر له التوحيد ويطالبه به، وهي: صلة الأرحام والروابط الأسرية، وحرمة النفس وحقن الدماء وتأمين الحياة، وتأمين السبل والطرقات الذي يمثل فيه الأمن العام، ثم ذكر تكسير الأوثان وعبادة الله سبحانه وتعالى وحده.

فعمرو جاء من بيئة تشكو من نتائج تفشي عادات سيئة، من قطيعة الأرحام والظلم والاستهانة بالدماء وقطع الطريق والخوف على النفس والمال، وكل هذا من أوليات حقّ العيش الكريم وحرية الاختيار وتحقيق العدالة، إذا فقدها الإنسان لايمكن أن تفهم عظمة الصِّلة

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

بحقائق التوحيد الخالصة أو تذوق حلاوة الإيمان بالله وأداء العبادات قبل أن يستقر في القلوب الإيمان بضرورة ترسيخ هذه المعاني النبيلة.

ولا ننسى أن التدين عام في تاريخ البشر، لم يختص بقوم دون قوم آخر ولا بمجتمع دون مجتمع آخر، بل لم يخلو منه مجتمع من المجتمعات، لكن الإنسانية لم تتحقق في جميع الأمم والمجتمعات، فمثلاً أن فرعون تجاوز الحد في العبودية وكان يدّع الألوهية، لكن مع ذلك كان يذبح الأبناء ويستحي النساء من أجل بقاء سلطته فقط، لذلك أن التدين في الإسلام لا يحصر في الظواهر كالصلاة والصوم والحج والزكاة والجهاد، بل جعل الله تعالى شرائع ظاهرة وباطنة، دين كامل لا يمكن الاستغناء بجزء منه عن الآخر.

ولدينا من السنة المطهرة أن امرأة حبست هرة لم تطعمها ولم تتركها تبحث عن حشائش الارض فدخلت النار بسببها.(البخاري، ٢٠٠٣م، الرقم: ٣٣١٨)(مسلم، ٢٠٠٣م، الرقم: ٢٢٤٢). والعكس بمن سقى الكلب فغفر الله له. (البخاري، ٢٠٠٣م، الرقم: ٢٣٦٣) ولدينا من السنة أن رجلا دخل الجنة بسبب إزالة غصن شوك عن الطريق كان يؤذي الناس. .(البخاري، ٢٠٠٣م، الرقم: ٦٥٢) وغيرها من الأعمال الإنسانية.

والذي تراه من اللا إنسانية التي يعيش فيها المجتمع الإنساني من الفتن والحروب والبغض والكراهية، وما هي إلا نتيجة الانحراف الديني والفطري، أبدعها العلمانية اللادينيةُ، والشياطينُ الإنسية، والمنتمون المتشددون إلى الأديان كلها، السماوية والأرضية، لأن التدين الحقيقي لا يتحقق مهما أقيمت مظاهره إذا لم ينجح في تطهير القلب من البغض والكراهية، لأن الله تعالى قد اختار القلوب لتكون محل نظره تعالى، فلا تصح صلة بالله من قلب تلطخ بقاذورات الكراهية.

قال الشيخ علي الجفري: والكراهية باتت تنخر في جسد الأمة إلى العظم، وأصبحت لها مسارات تكسوها بأثواب زائفة متعددة، وأخذت طريقها إلى القلوب من مداخل متنوعة. فكراهية تدخل علينا عبر التديّن الزائف، وأخرى عبر السياسة الوطنية، وثالثة عبر الجهوية الجغرافية، ورابعة عبر العنصرية.

كراهية تدخل علينا عبر التدين الزائف فتلبس مرة ثوب الطائفية بين السنّة والشيعة وتلبس مرة أخرى ثوب الطائفية بين المسلمين والمسيحيين، وتلبس مرة ثالثة ثوب الصراع بين الدين والعلمانية.... (الجفري، ٢٠١٥م، ٣٩٤.٣٩٥)

فنحن المسلمون، ديننا دين المحبة والسلام، لانكره أحداً، فنحب المسلمين كإخواننا الإيماني، بغض النظر عن اختلافنا في بعض المسائل الشرعية والجزئية، ونبرّ من لم يحاربنا ولم يقاتلنا ولم يخرجنا من ديارنا ولم يخطط علينا من أصحاب الأديان الأخرى، وهذا لبّ الإنسانية التي يدعونا إليه ربنا، وسبب إتحاد الأمة وانتشار الدين الحق، وهذا أسمى مقاصد الشريعة، قال تعالى: [لاَيَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ](الممتحنة: ٨)

ويقول الله تعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم وأمته: [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ](آل عمران: ١٥٩) ففي هذه الآية يبين الله تعالى لنبيه وأمته سبب هداية الناس على يد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو إنسانيته، التي تمثل في لين قلبه وصفائه، وأخلاقه الحسنة الجميلة.

المبحث الثاني: جوانب الإنسانية في الإسلام

يتكون هذا المبحث من خمسة مطالب كالآتي:

- المطلب الأول: الإنسانية في العقيدة.
- المطلب الثاني: الإنسانية في العبادة.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

- المطلب الثالث: الإنسانية في التشريع.
- المطلب الرابع: الإنسانية في قبول الحضارة والثقافة والتقدم.
- المطلب الخامس: الإنسانية في التعامل والسلوك.

المطلب الأول/ الإنسانية في العقيدة.

يمكن بيان إنسانية الإسلام في مجال العقيدة في الفروع الآتية:

الفرع الأول: الإنسان في نظر الإسلام أصلهم واحد

وقد صرح القرآن الكريم أن الإنسانية كلها ترجع إلى أصل واحد، فأبوهم واحد وأمهم واحدة، وهما آدم وحواء، أي أن بني الإنسان جميعهم إخوة وأخوات وليسوا متساوين فقط، بل هم في مرتبة أعلى منها وهي الأخوّة، والفرق بين الأخوة والمساواة واضح تماماً، فالمساواة اصطلاح حقوقي، في حين أن الأخوة تعبير عن الطبيعة المشتركة بين جميع الناس، فالناس على اختلاف ألوانهم وعرقهم ونوعهم هم من أصل واحد. قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً](النساء: ١)

وقال تعالى: [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] (الروم: ٢١) وقال تعالى: [وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ] (الروم: ٢١)

وهذا بخلاف الأديان الأخرى ونظرة الفلاسفة لأصالة الإنسان، فمثلاً في دين اليهود أن أصل الإنسان هو اليهود، أما غيرهم فأصلهم ليس من إنسان، بل خلق الله الأجنبي . غير اليهود . على هيئة الإنسان؛ ليكونَ لائقًا لخدمة اليهود الذين خُلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب لأمير أن يخدمه ليلًا ونهارًا حيوانٌ وهو على صورته الحيوانية!! (الدكتور روهلنج . إيشل لوران، ترجمة: الدكتور يوسف نصرالله، ١٩٩٩م، ص: ٧٣)

وفي حضارة البرهمية في الهند قسم أهل البلاد إلى أربع طبقات متميزة:

الطبقة الأولى: البرهمية؛ طبقة الكهنة ورجال الدين.

الطبقة الثانية: شترى؛ رجال الحرب.

الطبقة الثالثة: ويش؛ رجال الزراعة والتجارة.

الطبقة الرابعة: شودر؛ رجال الخدمة.

وفي بلاد الفارس كانت الأكاسرة . ملوك فارس . يدعون أن في عروقهم يجري الدم الإلهي، وكان الفرس ينظرون إليهم كآلهة ويعتقدون أن في طبيعتهم شيئاً علوياً مقدساً، وأما غير الأكاسرة فهم في الطبقة السفلى. (شريعتي، ٢٠٠٧م، ص: ٢١)

وفيلسوف مثل فريدريك إنجلز الألماني يقول: (إنّ الإنسان هو نتاج بيئته وعمله، ونتاج المادة، ليس له ما يميزه عنها) (المسيري، ٢٠١٢م، ١٣١)

ومن منظور أحادي الحياة الإنسانية هي استمرار للحياة الحيوانية. ويقول جون واطسون: (لا يوجد خط فاصل بين الإنسان والبهيمة) (المسيري، ٢٠١٢م، ١٣١)

وفي نظر داروين إنّ الإنسان أصله من القرد!!. ويرى بعض حكماء الأوربيين مثل (سيغفريد): أن الله أو الطبيعة خلق الإنسان من عنصرين، عنصر آمر الذي عليه أن يصدر الأوامر ويدير الأمور، وعنصر العامل أو الخادم، العنصر الآمر هم الأوربيون، والعنصر العامل هم الشرقيون!.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

وفيلسوف مثل (نيتشه) يقول: أن المرأة خلقت من عنصر، وخلق الرجل من عنصر آخر، ومن ثم تشابها الاثنان وتزاوجا على طول التاريخ، أي هما مخلوقان من عنصرين مختلفين، وهذا هو رأي معظم الفلاسفة والحكماء، فهم يريدون بذلك . غالباً . أن يحقروا طبيعة غيرهم وطبيعة المرأة ويفضلوا طبيعتهم وطبيعة الرجل. (شريعتي، ٢٠٠٧م، ص: ٢١) (المسيري، ٢٠١٢م، ١٣١) (القرضاوي، مجلة الوعي الإسلامي، حقوق الإنسان في الإسلام، الخصائص العامة للإسلام . الإخاء والمساواة والحرية ، ٢٠٠٣م، ١٨ . ٢٣)

أما الإسلام يعمل على تحقيق مقصد عدم التميز والمساواة والعدالة والكرامة، فلا يميز بين إنسان وإنسان آخر من حيث الإنسانية، فهم جميعاً في طبقة واحدة وهم إخوان وأخوات، فكلهم أمام الشرع والقانون سواء، من أخطأ يتحمل خطأه، ومن أصاب فله أجره، لا فضل لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض ولا لمرأة على رجل ولا لرجل على مرأة إلا بالتقوى، وكلهم من آدم وآدم من تراب.

الفرع الثاني: الإنسان في نظر الإسلام إلههم واحد

يرى الإسلام أن إله العالم بأكمله هو إله واحد، وهو الله سبحانه وتعالى، ولا يرى الإسلام أن ربوبية الله وألوهيته مختص بالمسلمين فقط، كما يزعم اليهود أنه مختص بهم، بل قال الله تعالى في المصدر الأول للتشريع وهو القرآن الكريم: [قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ] (الناس: ١-٣) وقال تعالى: [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ](آل عمران: ٦٤)، وقال تعالى: [هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ] (إبراهيم: ٥٢). وعَنْ أَبِي نَضْرَةَ رضي الله عنه قال: (حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟) قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم) (احمد، ٢٠٠١م، الرقم: ٢٣٤٨٩، قال شعيب الأرنؤط: إسناده صحيح، ينظر: مسند الإمام أحمد، ٢٠٠١م، ج: ٣٨، ص: ٤٧٤)

وكما يرى الإسلام بأن الإنسانية بأكملها مشتركون في الدعوة إلى العقيدة السليمة والعبادة الصحيحة لإله واحد أحد وهو الله سبحانه وتعالى، ولا يحصرها في دين واحد ولا يخصها بملة واحدة: [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ](آل عمران: ٦٤)

وهذه هي دعوة جميع الرسل، قال تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ] (الأنبياء: ٢٥)، وقال تعالى:

[وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ](النحل: ٣٦).

وكما أن الدعوة في الإسلام لا يختص بالأنبياء والعلماء والأولياء، بل عام وشامل لكل من عنده العلم الشرعي، ولا ينبغي لمن عرف وعلم ذلك أن يقتصر على نفسه، فإن الإنسان إذا علم وجب عليه العمل فإذا علم وعمل وجب عليه الدعوة إلى التوحيد وإلى شريعة رب العالمين، حتى يكون من ورثة الأنبياء والصالحين، وعلى نهجهم ونهج أتباعهم، عن إبن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيَةً)(البخاري، ٢٠٠٣م، الرقم: ٣٤٦١)، أي كلٌّ يبلغ بحسبِ استِطاعتِه ويتكلم على قدر عِلمه، وعن معمر قال: تلا الحسن البصري رحمه الله قول ربناجل جلاله: [وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ](فصلت: ٣٣)، ثم قال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته. (الدمشقي،، ٢٠٠٩م، : ٧/ ١١٥) وبهذا يتحقق مقصد عدم التميز وتصنيف المجتمع على طبقات مختلفة وغيرها.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

الفرع الثالث: بُعث رسول الله الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى الإنسانية كلها في بقاع الأرض.

بعث الله سبحانه وتعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس بلا استثناء، وهو رسول صلى الله عليه وسلم في كلّ العصور والأزمنة التالية، دون أي نظرة خاصة في ذلك إلى الذين بعث من بينهم أو البيئة التي ظهر فيها فقال: [قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا] (الأعراف/ ١٥٨)، وقال تعالى: [تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا] (الفرقان/ ١)، وقال تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا](سبأ: ٢٨)

فهو إن دل على شيء؛ فإنما يدل على أنّ ما في الإسلام كلها خير وإنساني وعالمي، لأن الإنسانية لم تستطع أن تستقل بنفسها في إدراك الحقيقة واكتشاف الفطرة، وكان لا بد لها من هاد يهديها، ومرشد يدلها بالتذكير بالعهد الإلهي والتوجيه نحو الشريعة والمنهج، وهكذا ظهرت النبوات وتوالت الرسالات، بقدر التطور الذي وصل إليه الفكر الإنساني. (الفاسي،٢٠١٤م، ص: ٢٧)

وبعد إدراك الإنسان الحقيقة واكتشافه لطريق الهدى المستقيم؛ يبلغ الطمأنينة، لأن الطمأنينة الإنسانية إنما تتم بعناصر الهدى الإلهي، التي تستقر في أمور ثلاثة: (الإيمان بالله، الإيمان بالرسل والرسالة، والإيمان بإنسانية الإنسان وبأنه مخلوق مكلف)، فالإنسان في استطاعته أن يفعل الخير والشر، وهو مخير بينهما، ومسئول عنهما، وفي ذلك الوقت أنه مركب من جانبي الإنساني والحيواني، فبرعايته للعناصر الثلاثة المذكورة يدع الشر ويفعل الخير، وبذلك يرتفع من درجة الحيوان إلى ما فوق درجة الملائكة، وهذا بدليل قوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ](البينة: ٧)

المطلب الثاني/ الإنسانية في العبادة

العبادات لها دور كبير ومؤثر في الإسلام وهي وسيلة الربط بين السماء والأرض، وأحكامها تمثل جزءاً مهماً من الأحكام الشرعية، والسلوك العبادي يشكل ظاهرة ملحوظة في الحياة اليومية للإنسان المتدين. ونظام العبادات في الشريعة الإسلامية يمثل أحد أجمل جوانب الإنسانية،

فيما يأتي نظهر تلك الجوانب خلال الفروعات الآتية:

الفرع الأول: العبادات في خدمة الإنسانية

كل من لديه أدنى اطلاع على الدين الإسلامي وأحكامه وتعاليمه يُدرك تمام الإدراك أن تحقيق الإنسانية والإخاء بين البشر هو هدف أساسي من

أهداف التكاليف والعبادة في الإسلام، فالصلاة مثلاً لها جانبان، الجانب الروحي وهو محاولة الإنسان للاتصال خارج حدود النفس الإنسانية بخالق الكون من أجل ربط نفسه بالإرادة الإلهية، وفي ذلك تزكية النفس وسموها، والجانب السلوكي؛ لاشك أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة، مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها، وبذلك يكون صاحب السلوك السوي والأخلاق الحسن. (السعدي، ص: ٦٣٢)

والصوم مدرسة لتهذيب وتأديب وضبط الغرائز الإنسانية، من الأكل والشرب والغريزة الجنسية وحب المال والتمليك، وتربية لإرادة الإنسان على الصبر في مواجهة المصاعب، وتربية لمشاعره على الإحساس بآلام غيره، فيسعى إلى مواساته، ولهذا سمّى النبي صلى الله عليه وسلم شهر رمضان شهر الصبر وشهر المواساة.

والزكاة كذلك تهدف بشكل أساسي إلى التقليل من نسبة الفقر والحاجة بأن يعطي الغني جُزءً من ماله إلى الفقراء، وبذلك يزكى مال الغني ويطهر نفس الفقير ويتحقق مقصد الإخاء والمحبة.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

والحج مؤتمر ربانيّ إنسانيّ، فهو على المستوى الفردي رحلة إيمانية، يؤكد فيها المسلم عبوديته لله تعالى، وذلك بأدائه لركن من أركان الإسلام، وفي ذلك الوقت رحلة تربوية يربى فيه الإنسان على الصبر والإيثار وحب الآخرين والتعاون معهم، وكما هو سبب للبراءة من الذنوب كيوم ولدته أمه. وكما أن الحج رحلة ترسم للعالم بأسره بكل وضوح إنسانية الإسلام، ففيها التأكيد بأنه دين عدل ومساواة وتعارف وتراحم وتعاطف بين الناس، وفي ذلك قال الله تعالى: [لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ] (الحج: ٢٨)، فشهود المنافع هنا يمثل الجانب الإنساني في أهداف الحج.

الفرع الثاني: الإسلام يوازن بين الروح والجسد ويشبعهما في آن واحد

من إنسانية الإسلام أنه يعمل على تربية الجسم والروح، ولا يهمل أياً منهما، لأن الإنسان مكون من الجسم والروح، وهو قلب وعقل وعواطف وجوارح، لا يسعد ولا يفلح ولا يرق رقياً متزناً عادلاً حتى تنمو فيه هذه القوى كلها نمواً متناسباً لائقاً بها، ويتغذى غذاءً صالحاً، ويرى الإسلام أن لكل من الجسم والروح أشواقه وحاجاته لابد من توفيرها والاستمتاع بها: فحاجات الجسم هي: المطالب المادية الموجبة لنموه وصحته وحيويته، كالغذاء والشراب والكساء والتزوج والتولد والمسكن والمركب ونحوها من ضرورات وحاجات الحياة. وحاجات الروح هي: الكمالات الروحية والنفسية التي ترنو إليها الروح، وتهفو إليها، كذكر الله، والتفكير، والمعرفة، والحرية، والعدل، والخلوة، وسعة الصدر، وراحة الضمير، ورخاء البال، وما إلى ذلك من المثل العليا والأماني الروحية.

فإن اخلّ بأحدهما؛ يختل نظام الحياة، فمن المقاصد الأساسية للشرع هو تنظيم حياة الإنسان وعلاقاته ومصالحه في إطار ثلاث دوائر، الأولى: هي دائرة الله عز وجل، والثانية: هي دائرة الإنسان ذاته، والثالثة: هي دائرة المخلوقات الأخرى، سواء الإنسان الآخرين، أو حتى سلوكه إزاء الحيوانات والجمادات، بل وحتى الجان؛ حيث نظمت الشريعة الإسلامية هذا الأمر كذلك. (التلاوي، ٢٠١٧م)

فتنظيم هذه الدوائر الثلاث تحتاج إلى الاستعداد الروحي والجسدي معاً، فلا يتحقق بإهمال أحد الجانبين. فإن أمعنا النظر في التاريخ البشري نجد أن أساس الانحرافات التي أصابت البشرية في تاريخها الطويل هو الإخلال بمعادلة التوازن بين الروح والجسد:

١- فالبعض توهم أن سعادة الإنسان وكماله إنما يكون في العزلة عن الناس والتكامل الروحي والابتعاد عن الماديات والغريزات، فمن سما بروحه

عن الماديات عن طريق الرياضة الروحية، ومجاهدة كل الشهوات والميول النفسية، فقد نال مبتغاه من السعادة، وارتقى مدارج الكمال. فيرى أصحاب هذا الاتجاه أن تكامل الإنسان وسعادته يتحققان بحرمان البدن، والارتقاء بالروح عن الأمور المادية من المال والملذات والشهوات والعزلة. وهذه النظرية نجد بعض تطبيقاتها عند الرهبان والراهبات المسيحيين في ابتعادهم عن الزواج، وفي الانزواء الاجتماعي، ونجد في زمن (لايوتزو) في الصين سابقاً، ودخل في هند من خلال بوذا والبوذية، ونجد بعضا منها كذلك عند مدّعي الزهد الذين أساؤوا فهم مفهوم الزهد، واعتبروه مساوقا للفقر والاحتياج والابتعاد عن مسؤوليات الحياة. وفي الحقيقة، إنّ من يتصور أنّ كمال الإنسان وسعادته تُدركان بإعراضه عن غرائزه ومتطلبات جسده، فقد جهل حقيقة الإنسان، وغفل عن قانون الخِلقة المتقن، ومنهج الفطرة السليمة؛ فإن الله تعالى خلق البشر مع هذه الغرائز والاحتياجات الجسدية، وكل ما أودع الله الحكيم في خلقة الإنسان لا بد أن يكون ذا مصلحة، فسعي الإنسان للمأكل والمشرب ولغريزة الجنس ومخالطة الناس وغير ذلك من متطلبات واحتياجات الجسم، متوافق مع فطرته وخلقته، يقول تعالى [قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] (الأعراف: ٣٢) (الحمامي، ٢٠١٨م)

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ)(أحمد، ٢٠٠١م، الرقم: ٥٠٢٢، وصححه السخاوي في المقاصد الحسنة، ٢٠١٩م، ص: ٥١٦)

٢- والبعض آخر يتوهم أن سعادة الإنسان تكون بتوفير ضروريات الجسم والانغماس في الماديات. وهي التي دخل بها (كنفشيوس) إلى الصين،

ونجدها في أوروبا زمن الرومان، ورجع إليها مرة أخرى في زمننا الحالي، ودأب عليها المجتمع الغربي المتمدن اليوم، فترى أن التمسك بالجانب المادي وإشباع الشهوات هو الطريق الحصري للسعادة والكمال. وفي الحقيقة، إنّ هذه النظرية أضعف من سابقتها، فهي تسلب الإنسان إنسانيته، وقيمه ومبادئه، وتجعله كائنا لا همّ له سوى إشباع رغباته ونزواته الجسدية، فمبدع هذه النظرية هو(نيكولو ميكافيلي) وقاعدته: (الغاية تبرر الوسيلة). حيث يعتقد أن صاحب الهدف باستطاعته أن يستخدم الوسيلة التي يريدها أيا كانت وكيفما كانت دون قيود أو شروط، فبعدما بلغ المقصد؛ فمقصده هذا يمح له ما صدر منه سابقاً!! ثم أخذ ميراثه هذا العالم الغربي والدكتاتورون في جميع أنحاء العالم، ومن ميراثه أيضاً الحروب على الدول المحورية والدول صواحب النفط والمواد المناخية، وفي نتيجته قتل الأبرياء، وخراب المدن والحضارات، وبلوغ صواحب العيون الجائعة مرادهم الخبيثة. وكذلك ما نراه اليوم في المجتمع الغربي، بل حتى في بعض مجتمعاتنا، من انتشار الجرائم والخيانة والانتحار وغيرها، ما هو إلا ميراث هذه النظرية وابتعادهم عن القيم الروحية والمثل الأخلاقية. (الحمامي، ٢٠١٨م).

أمّا نظرة الإسلام لرقي الإنسان وسعادته وتكامله، فهي تأخذ بنظر الاعتبار جميع جوانبه المادية والمعنوية، الروحية والجسدية، فهي ترى أن الإنسان موجود ذو بعدين، ويجب أن يكون له دين ذو بعدين أيضاً، حتى يتمكن من تغذية كلا البعدين المتضادين، تغذية المجتمع الإنساني وروح الإنسان.

وشهد لهذه الميزة الإسلامية عالم ألماني مسلم حيث يقول: (إن الإسلام لا ينظر- كالنصرانية – إلى العالم بمنظار أسود، بل هو يعلمنا أن لا نسرف في تقدير الحياة الأرضية، وأن لا نغالي في قيمتها مغالاة الحضارة الغربية الحاضرة. إن المسحية تذم الحياة الأرضية وتكرهها، والغرب الحاضر-خلاف الروح النصراني – يهتم بالحياة كما يهتم النهم بطعامه، هو يبتلعه ولكن ليس عنده كرامة له، والإسلام بالعكس ينظر إلى الحياة بسكينه واحترام، هو لا يبعد الحياة بل يعدها كمرحلة نجتازها في طريقنا إلى حياة عليا، وبما أنّها مرحلة ومرحلة لابد منها ليس للإنسان أن يحتقرها أو يقلل من قيمة حياته الأرضية .إنّ مرورنا بهذا العالم في سفر الحياة لابد منه، وقد سبق به تقدير الله، فالحياة الإنسانية لها قيمتها الكبرى، ولكن لا ينبغي لنا أن ننسى أنها ليست إلا واسطة وآلة وليست قيمتها إلا قيمة الوسائط والآلات، الإسلام لا يسمح بالنظرية المادية القائلة (إن مملكتي ليست إلا هذا العالم؛ ولا بالنظرية المسيحية التي تزدري الحياة وتقول: ليس هذا العالم مملكتي) وطريق الإسلام طريق وسط بينهما، القرآن يرشدنا أن ندعو: [رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً](البقرة: ٢٠١) (الندوي، ص: ١١٥)

المطلب الثالث/ الإنسانية في التشريع

الشريعة الإسلامية بقدرتها على تنظيم المجتمع الإنساني وتحديد الحقوق والواجبات وضبط الأهواء وتحقيق العدل والمساواة بين البشر تعد واحدةً من أعظم مظاهر الحضارة الإنسانية، التي يمكن بيانها وتوضيحها أكثر في الفروع الآتية:

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

الفرع الأول: الشريعة مبنية على مصالح الإنسان.

فالشريعة مبناها على مصالح العباد في المعاش والمعاد، في الدنيا والآخرة، فهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فراعى الله في تشريع أحكام الإسلام عدداً من الملامح التي تؤكد أسمى المعاني الإنسانية في التقنين والتشريع، منها:

١. عالمية التشريع. إذا أمعنا النظر، وجدنا قانون كل أمة أو دولة أو جماعة من الناس، إنما يعكس طبيعتها وأعرافها ويتجاوب مع ظروفها فشريعة كل أمة تعبير عن حاجتها ومتطلباتها فقط دون أيّ نظر إلى ما وراء حدودها. غير أن التشريع القرآني لا تجد فيه أيّ منزع إلى عرق أو طائفة أو جماعة وإنما هو ينبثق عن أسس ومبادئ إنسانية مطلقة، بحيث تأتي كافّة فروعه متطابقة معها في دقة واطّراد. ولنضرب أمثلة لإيضاح هذه الحقيقة: سورة النساء، من السور التي تفيض بالأحكام التشريعية المتعلقة بتنظيم الأسرة وحقوق المرأة، ونظام الحكم، وتقويم العدالة وضبط حقيقتها. فانظر كيف بدأت هذه السورة بوضع الركيزة الأساسية لتلك الأحكام كلها، وكيف لفتت أنظار الذين سينصتون إلى هذه الأحكام الآتية، إلى أن المنطلق إلى تقريرها ووجوب الأخذ بها إنما هو النظر إلى مصلحة الأسرة الإنسانية المطلقة دون أي التفات إلى الظروف المتنوعة والمختلفة للبيئات والجماعات. وهذه هي الركيزة الأساسية: [يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها، وَبَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَنِساءً، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً] (النساء: ١) فالمنطلق لتقرير كل الأحكام والتشريعات إنما هو الرحم الإنسانية العامة. (البوطي م.، من روائع القرآن، ١٤٢٠هـ، ١/ ٢١٨)

٢. إن الشريعة الإسلامية قررت الأحكام التي تضمن حفظ مقاصدها في الخلق، والتي من أهمها ما يسمى بالكليات الخمس المذكورة من قبل، وبذلك ضمنت الحقوق الأساسية للإنسان في دينه ونفسه وماله وعرضه وعقله. (الإسلامي ا.، ١٤٢٢هـ، العدد ٤٣٥)

٣. قد عالجت الشريعة الإسلامية أنواع الانحرافات المختلفة التي تميل إليها النفوس الشهوانية، وذلك باتخاذ إجراءات وقائية وزجرية بقصد حماية المجتمع وإصلاح المنحرفين، علماً بأن الإجراءات الزجرية والردعية موجودة ومعتمدة ومحوج إليها في كل تشريع وفي كل زمان ومكان. (الإسلامي ا.، ١٤٢٢هـ، العدد ٤٣٥)، وبذلك يحفظ الدين والنفس والنسل والعرض والحرية والكرامة وغيرها.

٤. الطاعة التي يقوم بها الإنسان في الدنيا، من العبادات وغيرها من الأحكام، والتي يحرص على أن تكون أعماله منسجمة معها ذات غاية واحدة؛ هي السعادة في الآخرة بالقرب من الله، وفي الدنيا بأن تكون أعماله متفقة مع ضرورات الحياة والجماعة. (الفاسي، ٢٠١٤م، ص: ١٧)

قال علال الفاسي رحمه الله: إن غاية الشريعة هي مصلحة الإنسان كخليفة في المجتمع الذي هو منه، وكمسؤول أمام الله الذي استخلفه، على إقامة العدل والإنصاف، وضمان السعادة الفكرية والاجتماعية، والطمأنينة النفسية لكل أفراد الأمة، فاتباع الطاعة في الأعمال الإنسانية، يجعلها أعمالاً شرعية، والخروج عنها يجعل العمل الإنساني في إطار خارج عن الشريعة، ومن ثم فهو خارج عن الفطرة، وهذا السلوك الموجه لا ينال به الفرد رضا الله فقط، ولكنه حينما ينظر إليه إخوانه في الدين، ويرون فيه القدوة الصالحة يحترمونه ويرون في الدليل العملي لنفاذ الخطابات الإلهية، فيتبعونه، وبذلك يصبح مرضياً عند الناس، وذا أثر فعال في خلق المجتمع الإسلامي والعالمي المتمتع بالحقوق المؤدي للواجبات. وظيفة الشريعة إذن هي التعريف بصفات الأعمال الإنسانية، وتبين مفعولها وأثرها وعلاقاتها. (الفاسي،٢٠١٤م، ص: ١١.١٢)

الفرع الثاني: الإنسانية في تشريع العقوبات والحدود والكفارات.

لا شك أن للشارع مقاصد وأهداف من تشريع العقوبات والحدود والكفارات منها: حفظ نظام الحياة والمصالح الكبرى للمجتمع، وأنها رادعة وزاجرة للجناة من معاودة جرائمهم، وأن في تطبيقها تحقيقاً لمبدأ العدالة وأخذ الحق من الجاني – دون تعدٍّ – شفاءً لغيظ أولياء المجني عليه، ومنعاً لبروز عادة الثأر التي أخذت تطل برأسها وبما تحمله من ظلم وبغي وعدوان، ومع ذلك يسعى الإسلام في تطبيقها إلى

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

مراعاة الجانب الإنساني، لأن الغاية منها الترحم على المذنب وإصلاحه، وليس من باب الكره والغضب عليه، لأن المذنب بارتكابه الذنوب التي يستحق عليها العقوبة والحدود قد أخرب حياته في الدار الآخرة، فهو يستحق الترحم، فبتنفيذ حكم الله عليه يصير طاهراً نقياً، ويمكن أن نلخص الإنسانية في الحدود والعقوبات فيما يأتي:

١. في إقامة الحدود الإسلامية (العقوبات على الجناة) نفعٌ للناس؛ لأنها تمنع الجرائم، وتروع البغاة، وتكفُّهم عن انتهاك الحرمات، وتحقق الأمن لكل فرد على نفسه وعرضه وماله وسمعته وحريته وكرامته. فتشريع الحدود والكفارات تهدف إلى السيطرة على الجنايات والمعاصي أو تقليلها، لأنه من علم يقيناً أنه إن قتل نفساً بريئةً يُقتل؛ لا يمد يديه إلى هذه الجريمة أبداً، فيرى في قتل غيره قتل نفسه، وكذلك من علم أنه إن زنى تنفذ عليه حد الله أمام الناس، وإن سرق تقطع يده او إن يهت غيره يجلد ثمانين لا يلجأ إلى هذه المعاصي أبداً.

فالإنسانية والرحمة موجودتان في جميع العقوبات التي فرضها الإسلام على الجناة، فمثلاً في العقوبة التي فرضها الإسلام على الزنا رحمةٌ للناس؛ لأن فيها إبعادَهم عمَّا يضرهم صحيًّا واجتماعيًّا، ورحمة للذرية؛ لأن فيها إنقاذَ الأطفال من أن يُولَدوا وهم مشرَّدون ضائعون لا أب لهم، وإنقاذهم من الإصابة بأمراض الزنا التي يكتسبونها بالعدوى من أمهاتهم الزانيات، ورحمة للزوجات العفيفات؛ لأنّ فيها حمايتهن من أن تنتقل إليهن بالعدوى أيضًا أمراضُ الزنا من أزواجهم الزناة، ورحمة للأمة بأسرها؛ لأن فيها حفظها من أن تقوَّض أركانها. (فتحي زيدان، ٢٠١٤م)

٢. الإنسانية في كيفية تنفيذ الحد. قلنا سابقاً أن الحدود في الإسلام رحمة للجناة، لذلك لابد من وجود الرحمة حالة تنفيذها، لذلك يقول النبي

الرحمة صلى الله عليه وسلم في كيفية تنفيذ القصاص: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ...) (مسلم، ٢٠٠٣م، الرقم ١٩٥٥)

ولما جاءت امرأة معترفة بطواعيتها من غير إكراه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وطلبت منه أن يقيم عليها الحد، فتعامل معها النبي صلى الله عليه وسلم بالرفق والإنسانية، وأمهلها حتى تضع حملها وترضع طفلها، وبعد إقامة حد الله عليها صلى عليها ودعا لها ومدح توبتها، يروي لنا قصتها الصحابي الجليل عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنهما حيث يقول: (أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهينةَ أَتَت رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَا، فقَالَتْ: يَا رسول الله أَصَبْتُ حَدّاً فأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ الله صلى الله عليه وسلم وَلِيَّهَا فَقَالَ: أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي فَفَعَلَ فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فرُجِمتْ، ثُمَّ صلَّى عَلَيْهَا. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ زَنَتْ، قَالَ: لَقَدْ تَابَتْ تَوْبةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْن سبْعِينَ مِنْ أَهْلِ المدِينَةِ لوسعتهُمْ وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنفْسهَا للَّهِ) (مسلم، ٢٠٠٣م، الرقم ١٦٩٦)

٣. عدم التميز بين الغني والفقير، والقوي والضعيف، وذوالنسب وغيره في تنفيذ الحدود. عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَد، وَأَيْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا)(البخاري، ٢٠٠٣م، الرقم: ٣٤٧٥) (مسلم، ٢٠٠٣م، الرقم: ١٦٨٨).

٤. مساعدة المذنب للتخلص من إثم ما ارتكبه وتخفيف العقوبة عليه قدر الإمكان. يوضح ذلك تماماً في معاملة النبي صلى الله عليه وسلم مع من وقع في المحظور وجامع امرأته في نهار رمضان، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ: مَا أَهلَكَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، قَالَ: لاَ، فَقَالَ: فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا. قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ - وَالعَرَقُ المِكْتَلُ - قَالَ:

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

أَيْنَ السَّائِلُ؟ فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا - يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ)(البخاري، ٢٠٠٣م، الرقم: ١٩٣٦)(مسلم، ٢٠٠٣م، الرقم: ١١١١).

وإن المجرم إذا جيء به لمعاقبتِه لاعترافه على نفسه لا لشهود عليه، إلا أنه قبيل تنفيذ الحكم عليه بدَّل من اعترافه وزعم أنه بريء لم يرتكب الجريمة التي أقر بها من قبلُ، فإنه في هذه الحال يؤخذ بشهادته الأخيرة، فيترك ولا يقام عليه الحد، هذا ما ذهب إليه الحنفية والشافعية والحنابلة وقول لمالك رحمهم الله. (الكاساني، ٢٠١٩م، ج: ١٠، ص: ١٣٠) (التونسي، ٢٠١٠م، ص: ١١٧٧)(النووي، المجموع، ٢٠١١م، ٢٧/ ٢١٤)(المقدسي م.، ٢٠٠٨م، ٦/ ٤٣٢) استنادًا لما رواه أبو هريرة أن ماعزًا لما وجد من الحجارة فرَّ حتى مر برجلٍ معه عظم الجنك، فضربه به، وضربه الناس حتى مات، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (فَهَلَّا تَرَكْتُمُوهُ وَجِئْتُمُونِي بِهِ) (أبوداود، ١٩٩٧م، سنن أبي داود، الرقم: ٤٤٢٠) .

د . تهدف الكفارات بشكل أساسي إلى تقليل الرق وإطعام الطعام للفقراء وتهذيب النفس. حيث جعل الإسلام العتق في المرتبة الأولى للكفارات ثم إطعام الطعام ثم الصوم، وكما هو الحال في كفارة القتل الخطأ والظهار والجماع في نهار رمضان وكفارة اليمين.

فكل هذا وغيره يدل على أن الأعمال الإنسانية هي موضوع الأحكام الإلهية في شريعة الإسلام، ولن يستفيد الله شيئاً من أعمال البشر، وإنما هم الذين يستفيدون منها، إذ تربي في نفوسهم الامتثال، وتزكيهم وتزرع في ذاتهم التقوى، أي إتقان العمل طبقاً لأحكام الشرع وإجلال الله عن أن يعصوا له أمراً.

المطلب الرابع/ الإنسانية في قبول الحضارة والثقافة والعلم والفنون والتقدم.

الإسلام بتقديم براهين الإيمان وانتشاره في أوساط العالم بأجمعه، ودوره في تحقيق التوازن بين العلم والإيمان، والروح والجسد، والعقل والأهواء، وقبوله العلم والحضارة والفنون والتقدم، وانهيار وإفلاس المبادئ المنحرفة من الشرك والعبودية لغير الله، والمادية والشيوعيَّة والإلحاد

أمامه، برهن أنه دين متفرد بين جميع الأديان، فاكتسب عراقة الحضارة التي جمعت كل الأمم تحت لواء واحد بعد أن فرَّقتهم الشعائر والقبائل والملل. وفي هذا الإطار نستعرض الجوانب الإنسانية للإسلام في مجال الحضارة في الفروع الآتية:

الفرع الأول: الإسلام دين العلم والثقافة والفنون

لقد جاء لفظ العلم في القرآن الكريم ٧٦٥ مرة، وفي كثير من هذه الآيات مدح الله تعالى العلم والعلماء، والعلم الذي دعا إليه الإسلام ليس علم التفسير أو الحديث أو الفقه أو اللغة أو السيرة أو غيرها من العلوم الشرعية فقط ، وإنما هو العلم بمعناه الشامل الواسع، بدليل أن أول آية نزلت على رسول الله تأمره وتأمر الناس بالقراءة، ثم تأتي آية بعده تبحث عن علم الطب والجينات، [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ] (العلق: ٢.١) وقال الله تعالى في مدح داود وسليمان: [وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ] (النمل: ١٥) وهذا العلم هو علم القضاء والصناعة ومنطق الطير والدواب وتسخير الشياطين وتسبيح الجبال وغيرها. وكما جاءت السنة النبوية بمجموعة من الأحاديث الشريفة التي تحتوي على عدد من الحقائق العلمية الكونية التي أثبتها العلم التجريبي الحديث في يومنا الحاضر، منها على سبيل المثال ما رواه أبوسعيد الخدري عن رسول اللهﷺ: (ما من كُلِّ الماءِ يكونُ الوَلَدُ) (مسلم، ٢٠٠٣م، الرقم: ١٤٣٨) فهذا الحديث يتناول الحقيقة العلمية التي لم يكشفها علم الطب إلا في القرن العشرين، وهي أن حيوانًا منويًّا واحدًا فقط من بين مئتين إلى ثلاثمائة مليون حيوان منوي في القذفة الواحدة هو الذي يلقح البُيَيْضَة لينتج الجنين . بإذن الله تعالى .

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

وكل هذا الاهتمام يدل على أن للشارع في العلم الأصلية والتبعية، وفي الثقافة والفنون مقاصد، منها الاستماع والفهم والتفهم والترديد والحفظ والعمل ونيل الثواب ونيل الرضا والتبليغ والتأليف والدعوة والقدوة والذكر الحسن والتلذذ والمتعة وغيرها. (أيمن، ٢٠١٦م، ص: ٣٠)

فلنيلها استجاب المسلمون الأوائل دعوة الله في تحصيل العلم، فسلكوا كل سبيل موصل إليه حتى أنهم في فتوحاتهم كانوا إذا نزلوا بلداً أقاموا به حلقات العلم، وأنشأوا المدارس يفقهون الناس في أمور دينهم ودنياهم، وكما قدَّم الإسلام كثيراً من العلماء الجهابذة للعالم في جميع ميادين العلم، فمثلاً قدم للعالم في الكيمياء كثيراً من العلماء، منهم: جابر بن حيان الذي أرسي قواعد وبحوثاً تعتبر الأولى من نوعها في هذا العلم، وقدم كذلك عز الدين الجلدكي صاحب قانون تفاعل المواد وأبو القاسم المجريطي الذي قاد أكبر حركة كيمائية في الأندلس في القرن التاسع الميلادي. وقدم في الطب الطبيب والفيلسوف أبوبكر الرازي، وكذا العالم الطبيب والفقيه ابن رشد الذي ألف (الكليات) في الطب، وقدم في علم النفس الفيلسوف أبو حامد الغزالي، الذي وضع أهم نظريات علم النفس الحديث، مثل نظرية:(الإيحاء والأفعال المنعكسة المشروطة . ردود الأفعال .) الذي تحدث عنها في كتابيه (الإحياء والمستصفى)، وقدم في مجال الرياضيات والفلك الخوارزمي صاحب الجبر والمقابلة وكذا ثابت بن قرة والكاشي، وقدم في علم الزراعة والنباتات عبداللطيف البغدادي وابن البيطار وغيرهم، وفي الطبيعة قدم ابن الهيثم الذي ألف ٢٠٠ كتاب منها ٤٧ في الطبيعة والرياضيات و٥٨ في الهندسة وهو الذي خطأ (إقليدس) في نظرية شعاع الضوء وكتابه (المناظر) يعد من أهم المراجع في علم الضوء، وفي الطبيعة ألف البيروني الآثار الباقية كما ألف العمري (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)، وقدم في مجال التاريخ الجغرافيا ياقوت الحموي صاحب (معجم البلدان) والسمعاني صاحب (الأنساب) والإدريسي صاحب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) وقدم كذلك الاصطخري واليعقوبي. وفي الرحلات والاستكشافات قدم الرحالة المعروف ابن بطوطة الذي ظل ثمانية وعشرين عاما يجوب العالم ويصفه بكل أمانة ودقة كما نجد كذلك في هذا المجال: المقدسي صاحب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) (هميسه، ٢٠١٤)

وكل هذا يدل على أن الإسلام هو دين العلم والبصيرة، ولا يقبل اتباع الأعمى: [قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ] (يوسف: ١٠٨)، أي على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية، وهذا بخلاف الأديان الأخرى مثل المسيحية التي تقول: اتبع ولو كنت أعمى!! ومن هذا المنطلق حارب الدين المسيحي العلم والعلماء والمبدعين، خاصة في العصور الوسطى، وفي نتيجة ذلك حدث وقوع صراع شديد بين الدين والعلم في أوربا، وعليه فقد شُلَّت حركة العلم، وأسست الكنيسة محاكم التفتيش ضد العلماء خاصة العلماء الذين أبدعوا وأتوا بالنظريات العلمية الحديثة، وقد حكمت تلك المحاكم على تسعين ألفًا وثلاثة وعشرين عالمًا بأحكام مختلفة في الفترة ما بين سنة ١٤٨١م إلى سنة ١٤٩٩م، أي في غضون ١٨ سنة، أحرق منها اثنان وثلاثون ألفاً أحياء، كان منهم العالم الطبيعي (برونو)، وكما عوقب العالم الطبيعي الآخر الشهير (جاليلو) بالقتل، لأنه اعتقد بدوران الأرض حول الشمس، وحبس (دي رومنس) في روما حتى مات، ثم حوكمت جثته وكتبه وحكم عليها بالحرق وألقيت في النار لأنه قال: إن (قوس قزح) ليست قوساً حربية بيدالله ينتقم بها من عباده إذا أراد، بل هي من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء، .....

شهد لهذا الاحترام الإلهي وهذه الميزة الإسلامية للعلماء (لويس سيديو) الوزير الفرنسي الأسبق في كتابه (خلاصة تاريخ العرب) الذي تضمن اعترافاً مشكوراً بما قدمه المسلمون للعالم من ثمرات نشاطهم العقلي الحر، وأقام البرهان على صدق قوله، وصحة صوابه.

وقد ترجم هذا الكتاب كل من المرحوم على باشا مبارك ومحمد أحمد عبدالرزاق، ونذكر هنا مقتطفات تشهد بالمدى الذي وصلت إليه الحرية العلمية في تاريخنا القديم، وكيف أسدت إلى التقدم العمراني أخلد الأيادي، حرصاً لما فيها من الفوائد لذوي الألباب...

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم فربط علائق المودة بين قبائل جزيرة العرب، ووجه أفكارها إلى مقصد واحد أعلى شأنها حتى امتدت سلطاتها من نهر التاج المار بإسبانيا والبرتغال إلى نهر الكنج، وهو أعظم أنهار الهند، وانتشر نور العلم والتمدن بالشرق والغرب، وأهل أوروبا إذ ذاك في ظلمة القرون الوسطى وجهالتها، وكأنهم نسو نسياناً تاماً ما وصل إليهم من أحاديث اليونان والرومان أسلافهم الأقدمين.

واجتهد العباسيون ببغداد والأمويون بقرطبة والفاطميون بالقاهرة في تقدم الفنون،...

وكان لديهم من المعلومات والصنائع والاستكشافات ما استفاد منهم نصارى إسبانيا حين تم طردهم منها، كما أن الأتراك والمغول بعد تغلبهم على ممالك آسيا استفادوا مِن معارف مَن تغلبوا عليهم.

ثم قال في وصف التمدن الإسلامي: ولا نزال إلى الآن نرى آثاره حين نبحث عن مبادئ ما نحن عليه من المعلومات الأوروبية، فإن العرب . المسلمين . في غاية قرن الثامن بعد الميلاد فقدوا الحمية الحربية وشغفوا بحوز المعارف، حتى أخذت مدائن قرطبة وطليطلة والقاهرة وفاس ومراكش والرقة وأصفهان وسمرقند تفاخر بغداد في حيازة العلوم والمعارف.

وأما المدرسة البغدادية المدونة للمعلومات التمدنية في الفترة التي بين عصر يونان الأسكندرية والأعصر الأخيرة، فكانت مساعدة على استيقاظ أهل أوروبا من رقدة الجهالة، ونشر أنوار المعارف في ممالك آسيا؛ فقد انتشر علم العرب ـ الإسلامي ـ (الفلك) في الهندستان بواسطة العلامة بيروني المغمور بمكارم السلطان محمود الغزنوي حين إنتقل إليها سنة ١٠١٦م الموافقة لسنة ٤٠٧هـ، كما نشره بين السلجوقيين العلامة عمر خيام سنة ١٠٧٦م الموافقة لسنة ٤٦٩هـ، وبين المغول العلامة نصيرالدين الطوسي مؤسس الرصدخانة بمدينة المراغة سنة ١٢٦٠م الموافقة سنة ٦٥٩هـ، وانتشر بين العثمانيين سنة ١٣٣٧م الموافقة سنة ٧٣٨هـ، ونشره بين الصينين العلامة (كوشيوكنغ) تلميذ أستاذ جمال الدين سنة ١٢٨٠م الموافقة سنة ٦٧٩هـ في عهد السلطان كوبلاى خان كبير عائلة الملوك المغولية، وشيد (أولوغ بغ) لعلم الفلك رصدخانة بسمرقند ١٤٣٧م الموافقة سنة ٨٤١هـ، وانتهى اشتغال المشرقيين بالعلوم والفنون عقب زمان أولوغ بلوغ، ثم اطلع أهل الغرب من أوروبا على أسرار تلك العلوم فأخذوا يشتغلون بها حتى جددوا في البلاد الإفرنجية التمدن واللغة العربية وفنونها الأدبية التي أخذت كل يوم في زيادة الانتشار بين الفرنج، ومازلنا إلى الآن نستكشف أمورا مهمة من الكتب العربية القديمة، وإن عزي ابتكارها زوراً إلى بعض المتأخرين من الفرنج. (سيدو، ٢٠١٧م، ص: ١٤.٩)

هذا وغيرها من الإشادات والشهادات بدور الإسلام والمسلمين في تقدم العلم والفنون والتمدن والصناعة في العالم بأسره.

الفرع الثاني: الإسلام دين عالمي ودين الحضارة والتقدم.

إن الإسلام دين طبيعي وفطري، وهو دين عالمي، يخاطب الأمم واللغات المختلفة جميعاً، فلا يفرق بين أمة وأمة أخرى بفارق الجنس أو اللون أو اللغة، فكل إنسان في جميع نواحي الأرض أهل لأن يأوي إلى هذه الإخوة الإنسانية التي تقودها التعاليم الإسلام، حيث شاء ومتى شاء، وكذلك هو دين الحضارة والتقدم، فعند النظر في المقاصد العامة للشريعة الإسلامية وكذلك مقاصدها الخاصة نجد أنها في أرقى درجات السلم الحضاري الذي سبقه شرحه، لأن رقي أي تشريع ودرجة تقدمه وتطوره يكون بمدى ما يحققه للناس من معان وغايات سامية، مثل النماء والازدهار والرخاء والأمن والطمأنينة والتعاون والمحبة والإخاء وغيرها من الغايات والأهداف التي يعي إليها الجنس البشري.

وذلك بخلاف الأديان الأخرى، فإن أمعنا النظر في الأديان الأخرى السابقة نجد أن معظمها مقصور على العصبية القومية، أو على تحويل الوثنيين الذين درجوا على عبادة الأصنام وما يشبه الأصنام من رموز قوى الطبيعة، وتخاطب قوماً أو ملة معينة، أو يعمل على إصلاح جانب من الحياة التي أفسدها الطغاة، فمثلاً فالدين الموسوي قصر دعوته على العبريين أو اليهود، والبرهمية ظلت ديانة قومية عنصرية حتى خرجت منها النحلة البوذية، فنجحت في تحويل الوثنيين إليها في الصين واليابان، ولم تحول إليها قط أمة ذات كتاب، والمسيحية

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

حولت إليها الرومان وغيرهم من الغربيين أو الشرقيين، ولكنهم كانوا جميعاً من الوثنيين الذين وقفوا عند خطوات الدين الأولى، ولم يجاوزها إلى عقائد أهل الكتاب.

وكذلك الأنبياء الآخرون السابقون أرسلوا إلى قوم معين، فمثلاً أرسل هود إلى قوم عاد، وصالح إلى قوم ثمود، ولوط إلى قوم سدوم وما حولها من القرى، يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها، لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم، وهو إتيان الذكور، ويوسف إلى مصر، وشعيب إلى أصحاب الأيكة . المدين . ودعوته بعد عبادة الله تعالى وحده قصر في إصلاح القطاع التجاري والمعاملات المالية، حيث أمرهم بإيفاء المكيال والميزان، وأن لا يبخسوا الناس أشياءهم، ويونس إلى نينوى وغيرهم، أي أن الأديان السابقة والأنبياء السابقين كانوا محليين.

وكذلك كما بينا سابقاً فالأديان الأخرى بعد انحرافها حاربوا العلم والتقدم والحضارة.

أما الإسلام كان ديناً عالمياً، قال الله تعالى في حقّ نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم: [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ] (الأنبياء: ١٠٧)، ولقد حول إليه على خلاف ما ذكرنا أعرق الأمم في الحضارة وفي الإيمان بالعقيدة الكتابية، فأسلمت فارس وأسلمت مصر، وهما على التحقيق أعرق أمم العالم يومئذ في تاريخ الحضارة، وأولاهما كانت تؤمن بالله واليوم الآخر والحساب والعقاب وغلبة الخير على الشر وخلود الروح، وثانيتهما كانت تدين بالمسيحية وتحمل لواءها في العالم القديم.

وكما أن الإسلام في عهد النبوة جمع عدداً من الجنسيات الملونة واللغات المختلفة في دولة المدينة، فالتحق به سلمان الفارسي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه (سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ) (قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه كثير بن عبد الله المزني وقد ضعفه الجمهور وحسن الترمذي حديثه، وبقية رجاله ثقات ينظر: (الهيثمي، مجمع الزوائد،٢٠٠١م، ج: ٦، ص: ١٣٧، الرقم: ١٠١٣٧). وضمن إليه صهيب الرومي وبشره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (رَبِحَ صُهَيبٌ رَبِحَ صُهَيبٌ) (العسقلاني، المطالب العالية، ٢٠٠٣م، الرقم: ٤٠٢٨، وقال: صحيح)، وأخذ بلال الحبشي راية إعلام الإسلام وصار مؤذنه وخاطبه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (فإنّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بيْنَ يَدَيَّ في الجَنَّةِ)(البخاري، ٢٠٠٣م، الرقم: ١١٤٩). وزار جابان الكردي النبي أكثر من مرة وروى عنه حديثين، وألبس النبي صلى الله عليه وسلم لباساً كردياً. (أبوداود، ٢٠١٥م، الرقم: ٩١٥)

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم رسالة الإسلام إلى معظم إمبراطوريات وملوك عصره يدعوهم إلى الإسلام وحضارته، وهذا يدل على عالمية الإسلام وإنسانيته.

ودأب المسلمون الأولون على العلوم والفنون؛ فأخذوا بحظ وافر من كل فرع من فروع العلم، لم يمنعهم دينُهم أن يأخذوا عن وثنيّي اليونان فلسفتَهم، ولا عن النساطرة طبَّهم، ولا عن اليهود ما يَروون من أخبار أنبيائهم وعلمائهم، (العقاد، الإسلام والحضارة الإنسانية ومقالات أخرى، ٢٠٠٦م، ص: ١٠) وهذا أخذا من قوله تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] (النحل: ٤٣)، أي الكتب السابقة وعلماء ومؤمني الأديان الأخرى.

وبذلك صاروا روَّاداً للحضارة الإنسانية حوالي ثلاثة عشر قرناً، تأثر بها دول الغرب والشرق كما تأثر بها أديان أخرى، منها النصرانية، فقد ظهر بين النصارى نزعات يظهر فيها أثر الإسلام. من ذلك أنه في القرن الثامن الميلادي(أي في القرنين الثاني والثالث الهجريين) ظهرت في سبتمانيا (Septimania) حركة تدعو إلى إنكار الاعتراف أمام القسس، وأن ليس للقسس حق في ذلك، وأن يضرع الإنسان إلى الله وحده في غفران ما ارتكب من إثم، والإسلام ليس له قسيسون ورهبان وأحبار، فطبيعي ألا يكون فيه اعتراف. وكذلك كانت حركة تدعو إلى تحطيم الصور والتماثيل الدينية (Iconoclasts)؛ ذلك أنه في القرن الثامن والتاسع الميلادي أو القرن الثالث والرابع الهجري ظهر مذهب نصراني يرفض تقديس الصور والتماثيل؛ فقد أصدر الإمبراطور الروماني ليو الثالث أمرًا سنة ٧٢٦م يحرم فيه تقديس الصور والتماثيل،

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

وأمرًا آخر سنة ٧٣٠م يعد الإتيان بهذا وثنية. وكذلك كان قسطنطين الخامس وليو الرابع، على حين كان البابا جريجوري الثاني والثالث وجرمانيوس بطريرك القسطنطينية والإمبراطورة إيريني من مؤيدي عبادة الصور... (الندوي، ص: ١١٥)

لذلك قال علال الفاسي: إنّ الإسلام للنوع الإنساني بمثابة العقل للأفراد، فكما أن العقل يهدي الفرد إلى معرفة الأشياء ويرشده لبعض المنافع، ويعقله عن بعض الأضرار، كذلك الدين يهدي النوع البشري إلى أقوم الطريق وأوضحها للوصول لخير الدنيا والآخرة، فهو المنطق الذي يرشد الاستعداد الفطري في الإنسان إلى تحقيق الصعود في معارج الرق والتقدم في المعرفة والحضارة والكمال الخلقي للفرد وللجماعة الإنسانية، وتوجيه الفعل الإنساني الوجهة الصحيحة نحو هذه المقاصد التي هي الفطرة الحقيقية. (الفاسي: ٢٠١٤م، ص: ٨٩)

الفرع الثالث: الإسلام دين السلام

من مقاصد الإسلام وشريعته: إخمادَ الحروب ونشرَ السلام والوئام بين الناس، أفرادا وجماعات، وانتشار المحبة والأخوة والسلم والسلام بين الإنسانية بأكملها في أنحاء العالم، بل أكثر من ذلك بين الإنسان وغيره من البيئة والحيوانات والجمادات، ويظهر ذلك من خلال اهتمام الإسلام بالسلام والمحبة في النصوص الصحيحة الصريحة، لقد وردت مادة (سلم) في القرآن الكريم سبعاً وسبعين مرة، ووردت كلمة السلام في القرآن الكريم عشر مرات، وفي الحديث النبوي أكثر من (١١٣٢) مرة، بينما ذكر الجهاد أربع مرات فقط، وضُبط الجهاد بضوابط دقيقة، هذا يدل على أن الإسلام هو دين السلام والمحبة والاطمئنان، لم يكن الإنسان مؤمنا ولا مسلماً في نظر الإسلام حتي يرفع راية المحبة والسلامة، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُمْ)(مسلم، ٢٠٠٣م الرقم: ٥٤) (الريسوني ا.، مقصد السلام في شريعة الإسلامية، ٢٠١٩م، ص: ٢٣)

وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: (أَلَا أُخْبِرُكُم مَنِ المُسلِمُ؟ مَن سَلِمَ المُسلِمونَ مِن لِسانِه ويَدِه، والمُؤمِنُ مَن أمِنَه

الناسُ على أمْوالِهِم وأنْفُسِهِم)(أحمد، ١٩٩٣م، الرقم: ٢٣٩٦٧، قال شعيب الأرنؤط في تخريج المسند: حديث صحيح، ج: ٣٩، ص: ٣٨٧)، وهذا المبدأ الإيماني يتبين واضحاً في كثير من الآيات القرآنية، منها: [وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ] (يونس: ٢). وقال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ] (البقرة: ٢٠٨). فمعنى السِلم في هذه الآية أعم وأعمق من السلامة في الحرب والفتن والشر، بل قال إبن عباس رضي الله عنهما وجماعة من المفسرين: عام في فعل جميع أعمال البر، أدخلوا في السلم؛ أي اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر. (الدمشقي،، ٢٠٠٩م، : ١/ ٢٩٢)

وأما الحرب والقتال في الإسلام؛ فهو مشروع لأجل الحراب وتحقيق السلام، فكل من سالم ولم يقاتِل ولم يحارِب لا يقاتَل، سواء كان كتابياً أو مشركاً أو ملحداً أو غيرهم، وهذا هو الأصل الذي عليه جمهور العلماء. (الريسوني ا.، مقصد السلام في شريعة الإسلامية، ٢٠١٩م، ص: ٢٣)

المطلب الخامس/ الإنسانية في السلوك والتعامل مع الآخرين

لم ترق حضارة من الحضارات التي عرفها التاريخ الإنساني قديماً وحديثاً بالسلوك الإنساني وتعميق العلاقات الاجتماعية وربط أبناءها بعضها ببعض كما فعلت حضارة الإسلام، فكل تعاليم وقيم وآداب وأخلاقيات الإسلام تهدف إلى صناعة إنسان متحضر السلوك، حسن الخلق، راقي المشاعر، يحترم خصوصيات وحرمات وحقوق الآخرين.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

فحسن الخلق والتعامل الصحيح الجميل مع الآخرين من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية، تكمن وراءه فوائد عظيمة وغايات نبيلة، فهي المعيار الذي يعرف به الحضارة الإسلامية والإنسانية، والسمة التي تتميز بها المجتمعات الراقية المتحضرة، لذلك بعث الله تعالى من أجله النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (بُعِثتُ لأُتَمِّمَ صالِحَ الأخْلاقِ)(أحمد، ٢٠٠١م، الرقم: ٨٩٥٢، صححه ابن عبدالبر في التمهيد، ١٩٩١م، ج: ٢٤، ص: ٣٣٣)، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن المؤمن لا يكمل إيمانه إلا بامتثاله لأحسن الأخلاق، حيث قال: (أكْملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهُم خلقًا)(أبو داود، ٢٠٠٩، الرقم: ٤٦٨٢)(الترمذي،١٩٩٦م، الرقم: ١١٦٢، وقال: حديث حسن صحيح). كما أخبر أن الخلق الحسن ترفع من مرتبة المؤمن وتبلغه درجة العُباد الصالحين: (إنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسنِ خُلُقِه درَجةَ الصائمِ القَائمِ)(الحاكم، ٢٠٠٢م، الرقم: ٢٠٠، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، المستدرك مع تضمينات الإمام الذهبي، ٢٠٠٢م، ج: ١، ص: ١٢٨).

وإن المؤمن في نظر الإسلام هو المحسن: [إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ](النحل: ١٢٨) والمحسن هو صاحب الوجدان الرفيع، وهو صاحب الإنسانية في سلوكه مع نفسه، ومع غيره، سواء كان مسلماً أو كافرا، براً أو فاجراً، لأن الأخلاق الحسنة المأمور بها في الإسلام تشمل المسلم والكافر، قال الله تعالى: [وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى] (المائدة: ٨)، وقال تعالى: [لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] (الممتحنة: ٨) أنْ تَبَرُّوهُمْ: أي: تحسنوا إليهم، فالبر هو الإحسان والخير الوفير. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحسنةَ تَمْحُهَا، وخَالقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ) (أحمد، ٢٠٠١م، الرقم: ٢١٣٥٤، وحسنه الشيخ ابن حجر العسقلاني، ينظر: الأمالي المطلقة، ١٩٩٥م، ص: ١٣١)

وحسن الخلق الذي اعتنى به الإسلام يعني أن يتحلى الإنسان بكل الصفات الإنسانية الجميلة، كالحلم والصبر والعفو والكرم، والمروءة والأدب والتواضع والمعاملة الطيبة، وغير ذلك من الصفات الكريمة، ويتخلى عن الصفات الرذيلة، كالحقد والبغض والشرارة والطمع والقسوة والكبر والكذب والسباب والشماتة والغلظة، وغيرها من الرذائل.

وهذا الخلق الحسن التي امتثلها المسلمون ترك آثاراً كبيراً على قلوب الناس، وهي في المرتبة الأولى من الأسباب التي دخل من طريقها الناس الإسلام، فحوار الناس بالتي هي أحسن، والأسوة الحسنة التي تمثَّل بها ممثلوا الإسلام من التجار والسياحين، ومعاملتهم الملفتة للنظر، وسلوكهم في الدعوة والإحسان، وتسامحهم مع غيرهم من أهم الأسباب التي تحول الناس إلى الإسلام، حتى قال المؤرخ المعروف د. حسين مؤنس: أن ثلث عالم الإسلام فقط هو الذي وصلت إليه الجيوش وبقية الثلثين إنما فتحها الإسلام بهذا الانتشار الدعوي والأخلاقي وعبر قوافل التجار ونحوه. والدليل على ذلك: أن تسامح الإمام الفقيه عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي أدخل الناس بالإسلام، حتى في الحروب الصليبية وفي الحملة الثالثة تحول ثلاثة آلاف إلى الإسلام لغدر الأرثوذكس وتسامح السلاجقة المسلمين. (أبوخليل ا.، ٢٠١٠م، ص: ١١)

وما دخل الإسلام قارة افريقيا وأوروبا وأمريكا وأستراليا وروسيا ودول شرق آسيا إلا بالأخلاق الإسلامية العليا وقيمه الربانية والدعوة الوسطية. فمثلاً عندما اكتشف اهالي غانا اخلاق التجار المسلمين وقيمهم السامية ودينهم العظيم اعتنقت قبيلتان من البربر الإسلام وهما قبيلتا لمنونة وجودلة فعملوا على نشر الإسلام في ربوع غرب افريقيا، واعتنقت قبائل ساراكولا الإسلام، كذلك تم فتح غانا سنة ١٠٧٦م ثم راحت بعض القبائل الإسلامية من غانا إلى بلدة مالاتا في السودان الغربي وانشأوا فيها مركزا تجاريا فتعرف أهلها على الإسلام ودخلوا فيه طوعا وكذلك اعتنق ملك غينيا الإسلام وكثير من رعاياه سنة ١٢٠٤م طوعا وحبا في الإسلام، واعتنق خليفة أمير قبائل

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

المانداتج الإسلام وأسس امبراطورية مالي، وايضا أحد سلاطين تشاد وغيرهم وهكذا دخل السلاطين والملوك والعامة والسوقة والخاصة والنبلاء الإسلام طوعا لا كرها إعجابا منهم بأخلاق تجار المسلمين وقيمهم الإسلامية. (أبوخليل ا.، ٢٠١٠م، ص: ١١)

وفي عام ٢٠٢٠م بعدما قضت نحو أربع سنوات مختطفة من طرف جماعات متشددة في مالي، وبعد إطلاقها أعلنت آخر رهينة فرنسية في العالم صوفي بترونان إسلامها، وأثار حجابها الكثير من الجدل بين كثير من وسائل الإعلام الفرنسية، خاصة بعد أن تأكَّدت بنفسها في تصريح لوسائل إعلام مالية اعتناقها للإسلام، وتغيير اسمها من (صوفي) إلى (مريم). وقالت إنها تدعو لمالي ولشعبها.

وسبب إسلامها هو المعاملة الحسنة معها من قبل معتقليها، وقد عبرت عن ذلك لدى تحررها، وقالت: أنها لا تُكنّ مشاعر الكراهية لمختطفيها الذين رفضت أن تصفهم بالجهاديين، في حديث أدلت به لإذاعة فرنسا الدولية، وإنما اعتبرتهم (جماعة مسلحة معارضة للنظام) في مالي معربة عن أملها في أن تجد جميع الأطراف المتنازعة طريقا إلى السلام.

وجاء إعلان الرهينة مريم إسلامها بمثابة صدمة لماكرون عقب تصريحات مثيرة للجدل أطلقها قبل أيام عن الإسلام، حيث وصف الرئيس الفرنسي أن الدين الإسلامي يمر بمرحلة صعبة. فيما ألغى ماكرون تصريحات صحفية كانت مقررة بعد لقائه مريم ولم يتحدث ماكرون إلى الصحافة وغادر قبل فترة وجيزة من مغادرة صوفي بترونان. (Figaro، ٢٠١٠م)

فإذن مفهوم الإنسانية في الإسلام يفرض علينا أن نعامل المعاملة الجميلة الحسنة مع جميع من يحمل اسم الإنسان، وأن نحترم الجميع بكل ما يحملونه من أفكار ومعتقدات وأديان، وأن ننظر إلى الجوانب التي تربطنا بالآخرين لا التي تفرقنا عنهم، أن نبتعد عن تصنيف الناس حسب دينهم ودرجة تدينهم وعرقهم وثقافتهم وانتمائهم إلا حسب الشرع الإلهي، فالناس في الإنسانية سواسية، وإنما المفاضلة بينهم تكون في أمور أخرى منها التقوى، والإنسانية تنقلنا من حالة المشاحنة النفسية والكره إلى حالة السلام الداخلي، حالة من الحب والاحترام للجميع دون شرط أو قيد، وأن نبقى نقف في وجه كل من يعادي القيم الإنسانية، لذلك فإن الأديان السماوية خاصة الإسلام أتت معززة وداعمة للمفهوم الإنساني والذي يجب أن نصونه دائماً في كياننا، نطوره ونعززه ونسعى إلى عدم خدشه أو نقصانه فلا دين بلا إنسانية. (الرنتيسي، ٢٠١٨م)

الخاتمة:

بعون الله تعالى ومنته وصلنا إلى ختام هذا البحث المتواضع، ففي نهاية هذه الرحلة المباركة والممتعة أود أن أسجل أهم ما توصلت إليه من النتائج والتوصيات المقترحة:

- **أهم النتائج:**

- من أهم الصّفات التي امتازت بها الشريعة الإسلامية هي أنّها إنسانية النّزعة.
- إن هذه الإنسانية عينها الله تعالى بنفسه، وأنّها واقعية يمكن ممارستها في حياة النّاس.
- إنَّ مقاصد الشريعة الإسلامية هي المؤسسة لكرامة الإنسان.
- تميزت مفهوم الإنسانية في الإسلام بغاية الوضوح، ولم تترك المجال للغموض ولمفاهيم عامة مبهمة، حيث جاءت النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية مفصلة ومحددة لمفهوم الإنسانية، ومبينة وسائل حفظها ودوامها، ومانعة من تجاهلها أو انتهاكها.
- تضمنت الشريعة الإسلامية الآليات المطلوبة لمحافظة حقوق حرمة الإنسان وحمايتها، وذلك بفرض العقوبات والتعزيرات على المخالفين لتردعهم عن إلحاق الأذى بغيرهم.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

- أن تراثنا الإسلامي زاخر بالنصوص من القرآن والسنة وأقوال الصحابة والفقهاء وبيانهم للأحكام الشرعية في مجال إنسانية الإنسان وحرياته، بما يستوجب علينا جمعه وإبرازه.
- المعيار الأساسي لإنسانية الإنسان والتعامل معه هو (الإنسانية) فمن هنا يبدأ معايير التعامل معه.
- وضعت الشريعة الإسلامية المعايير المختلفة باختلاف الأوضاع والأحوال للتعامل مع الإنسان، فمثلاً وضع المعايير والقواعد الإنسانية الدقيقة للتعامل مع الإنسان في حال طفولته وفي حال شبابيته وكذلك في حال شيخوخته، وفي حالة السلم من أجل التمتع بالحياة وكذلك حالة الحرب من أجل التخفيف من المعاناة الإنسانية التي تسببها هذه الحرب وغيرها.
- جميع الأفراد الإنسانية متساوون ومؤهلون للتمتع بما يستوجبه مفهوم الإنسانية، دون تمييز من أي نوع أو على أي أساس كالعرق، واللون، والجنس، والإثنية، والعمر، واللغة، والديانة، والآراء السياسية أو غيرها من الآراء، والأصل الوطني أو الاجتماعي، والملكية، والإعاقة البدنية أو العقلية، والحالة الصحية وغيرها.
- لم تتخلف الشريعة الإسلامية عن مواكبة العصر حسبما يراه بعض الذين لم يفهموا الشريعة، فللشريعة مقاصد حيوية وأحكام مناسبة لكل عصر وزمان ومكان، وذلك لأن الشريعة الإسلامية تمتلك أسباب الخلود والبقاء بمقاصدها ووسائلها لاشتمالهما على الحلول الناجعة لكل ما يعني البشرية في كل زمان ومكان، وهذا ما يسمى بنوازل العصر، وقام ببيان أحكامها القدامى والمحدثون عبر المجامع الفقهية.

التوصيات: من أهم التوصيات المقترحة ما يأتي:

- أوصي وزارة التربية ووزارة التعليم العالي بتضمين البرامج الدراسية في مرحلة من مراحل الدراسية بجميع مستوياتها، أو على الأقل في المستوى الجامعي وبالأخص في الدراسات الإسلامية وكلية القانون على مادة الإنسانية تحت عنوان: مفهوم الإنسانية من منظور مقاصد الشريعة الإسلامية.
- تركيز المجامع العلمية والمراكز البحثية على مثل هذه الدراسات والبحوث التي تبين العلاقة بين مقاصد الشريعة ووسائلها ومفهوم الإنسانية؛ لبيان أسرار هذه الشريعة وسماحتها وشموليتها، وما تميزت به عن غيرها.
- بما أن الإسلام يهدف إلى دعوة الناس إلى اعتناق أسلوب حياة على الطريقة الإسلامية، يجب أن يتم تفسير مفهوم الإنسانية بطريقة تسجم مع هذه الغايات، كما تعتبر المفاهيم التي تقوض هذه الغايات حتما غير شرعية. فمطلوب منا إنشاء قنوات خاصة لشرح ما ورد من جماليات الإسلام في مجال الإنسانية.
- العمل في مجال حقوق الإنسان له صلة مباشرة بالإعلام، والإعلام مندرج تحت باب وسائل المقاصد التي تتميز بالسعة والشمول، والسعي إلى أفضل الوسائل لتحقيق المقاصد، وهذا ما يجعل الحاجة ماسة إلى تدريب كوادر إعلامية مؤهلة قادرة على نشر مفاهيم الإنسانية والفضائل والقيم بأفضل الوسائل الممكنة.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

Humanity and its Purposes in Islamic Law

Ali Muhammed Ahmed Heroy[1] - Jamal Muhammed Bajalan[2]
[1+2] Department of Religious Education, Faculty of Education, University of Koya, Koya, Kurdistan Region, Iraq.

Abstract:

This paper which is entitled Humanity and its purposes in Islamic law. Humanity has a basic value in Islam in that Islam tries to produce fruitful people to the society. Thus، worship in Islam can be concretized in obeying to Allah's orders and being sympathetic with Allah's creatures. In this paper، we shed some light on the maqasid and the origin of humanity. The paper consists of several sections: section one is about defining humanity and Sharia maqasid; section two is devoted to showing the aspects of humanity in Islam on the basis of Qur'an verses، hadiths، and the scholar's views. At the end of the study، we arrived at some conclusions، among them: one of the most remarkable features by which Islam is recognized is the desire of being human. This desire has been determined by Allah. In fact، the Sharia maqasid is a foundation to protect humans' respect. There are so many of the holy Qur'an verses، hadiths، and the ashab's sayings in the Islamic culture from which we can take advantage and use them in our lives. Finally، we have suggested that universities and research institutes should emphasize the importance of the papers which indicate the relationship between Islamic Sharia maqasid and humanity so that they can show the wisdom and inclusiveness of Islam to a greater extent.

Keywords: Humanity, Purposes, Islamic Law.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

المصادر:

ابن عاشور م.، ٢٠٠٩م، مقاصد الشريعة الإسلامية.

أبوخليل، ا.ش2010 .م، ص .أطلس إنتشار الإسلام .دمشق . سورية :دار الفكر.

أبوخليل، ش2019م، ص، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، فصل بعنوان الكاثوليك .إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. (٢٠٠٨م، ج: ١٦، ص: ١٢). *الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي*. بيروت . لبنان: دار الكتاب العربي.

الأصفهاني، ا، 2005 .م، المفردات، الطبعة الرابعة، بيروت . لبنان :دار المعرفة.

أيمن، ا.أ2016 م، مقاصد العلم الشرعي وتوظيفها في طرق التعليم .الدوحة -قطر :المؤتمر العالمي للتعليم الشرعي وسبل ترقيته، نظمه الإتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

باشا، م .خ1999 م، *الكافي، والمعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الخامسة 2011م* الطبعة الرابعة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.

جابر، ع .س2013 م، *تأصيل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من منظور مقاصد الشريعة الإسلامية . مقاصد الشريعة والإتفاقيات الدولية*) .الطبعة الأولى، لندن -بريطانيان: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلامية.

جبه‌جي، ا .ع، *مقاصد الشريعة الإسلامية، تعريفها، أهميتها، أدلتها، تاريخها، أقسامها، وطرق الكشف عنها، وقواعدها، وتطبيقاتها*، .بحث منشور ألكترونياً غير مطبوع.

سيدو، ل2017 م، *خلاصة تاريخ العرب* .القاهرة . مصر :مؤسسة هنداوي.

شريعتي، ا .ع2007م، *الإنسان والإسلام* .بيروت . لبنان :دار الأمير للثقافة والعلوم.

عطية، ا .ج2001 م، *نحو تفعيل مقاصد الشريعه* .دمشق -سورية، دار الفكر، الطبعة الأولى.

محمود، ا .م1971 م، الطريق إلى الكعبة .بيروت . لبنان :دار العودة.

منظور، ج .ا2009) .م، ج :٨، ص .(211 *لسان العرب* .بيروت . لبنان :دار الكتب العلمية.

هميسه، ا .ب2014 .، 14 8 *الإسلام دين العلم* .Retrieved from منتديات شروق https://montada.echoroukonline.com/showthread.php?t=274187

البدوي، الدكتور يوسف أحمد محمد، ١٩٩٩م، مقاصد الشريعة عند إبن تيمية، الأردن، دار النفائس

البستاني، ا .ب2009 م، *محيط المحيط قاموس عصري مطول للغة العربية* .بيروت . لبنان :دار الكتب العلمية.

البوطي، م .س1420هـ، *من روائع القرآن* .مؤسسة الرسالة.

التلاوي، أ، 2017م، سبتمبر، Retrieved from بصائر الفكر/https://basaer-online.com/2017/09 :

التونسي، ع .ا2010 م، *روضة المستبين في شرح كتاب التلقين* .بيروت -لبنان :دار إبن حزم، الطبعة الأولى.

الجزيرة/www.aljazeera.net/news/politics/2020/10/12 :دخلت-الإسلام-وغيرت-اسمها-مريم، *.مريم بترونين الرهينة الفرنسية التي أحرجت ماكرون* .

الجفري، ع .ز2015م، 394. *الإنسانية قبل التدين* .أبوظبي . الإمارات :دار الفقيه، الطبعة الأولى.

الجويني، عبدالملك إمام الحرمين، البرهان في أصول الفقه، دار الوفا، مصر.

الحمامي، ا .ن، 2018م، .(29 4 *التوازن بين الجسد والروح في الإسلام* .Retrieved from شبكة النبأ المعلوماتية https://annabaa.org/arabic/rights/15069 :

الخادمي، الدكتور نورالدين الخادمي، ١٩٩٨، الإجتهاد المقاصدي حجيته، ضوابطه، مجالاته، الدوحة - قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

الدكتور روهلنج . إيشل لوران، ترجمة: الدكتور يوسف نصرالله ١٩٩٩م، *الكنز المرصود في قواعد التلمود*. دمشق - سورية: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.

الدمشقي،، ل .ا2009م، ج6 :، *تفسير القرآن العظيم* .القاهرة :دار التوفيقية للتراث.

الرازي، م .ب0، 1986م، *مختار الصحاح* .لبنان :الناشر مكتبة لبنان، مادة قصد.224 :

الرنتيسي، ب2018) .م، *أيهما يعلو على الآخر ..الإنسانية أم الدين؟* .قطر :الجزيرة، أيهما يعلو على الآخر ..الإنسانية أم الدين؟ .https://www.aljazeera.net/

الريسوني، ا .أ،2019 م، *مقصد السلام في شريعة الإسلامية* .القاهرة -مصر :دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30

الريسوني، ا.أ) .ص22 :. 26، 2010م .(*محاضرات في مقاصد الشريعة*)الطبعة الثالثة .(.edالقاهرة :دار الكلمة للنشر والتوزيع.

السايح، ا.أ، 2014م، *أصحاب العقائد الدينية في مجتمعات المسلمين* .Retrieved from المجمع العلمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية :

https://taghrib.com/ar/article/print/1733

السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني،. (٢٠٠٤م، *كتاب التعريفات*. الإسكندرية - مصر: دار الندى،.

الصلابي، ا.ع2018م، *المنهج النبوي في بناء القيم في العهد المكي*/Retrieved from https://www.aljazeera.net/blogs/2018/1/23 .

العسكري، أ.ا2010م، 307، *الفروق اللغوية* .بيروت . لبنان :دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.

العقاد، ع .م2006م، *الإسلام والحضارة الإنسانية ومقالات أخرى* .القاهرة . مصر :نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

القرضاوي، ا.ي، 1997م، *مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية*)الطبعة الثانية .بيروت . لبنان :مؤسسة الرسالة.

القرضاوي، ا.ي2003 م، 18. 23، *مجلة الوعي الإسلامي، حقوق الإنسان في الإسلام، الخصائص العامة للإسلام . الإخاء والمساواة والحرية* ..الكويت :وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . الكويت .

الكاساني، ع .ا2019 م، *بدائع الصنائع في ترتيب الشرئع* .بيروت -لبنان: دار الكتب العلمية،.

المسيري، ع، 2012م، *رحاية الإنسانية والإيمان* .القاهرة . مصر :دار الشروق، الطبعة الأولى.

النابلسي، ا.م1995 م .النزعة الإنسانية في الإسلام /خطبة إذاعيه .

الندوي، ا.أ. ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين .القاهرة . مصر :مكتبة الإيمان.

الهيتمي، ل .ا2018 م،. الفتاوى الكبرى الفقهية على مذهب الإمام الشافعي .بيروت . لبنان :دار الكتب العلمية.

Original Article / Doi: 10.26750/Vol(9).No(4).Paper30